٦٤
المجلد

ISSN 2147-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

العدد الثامن - المجلد الرابع والستون
ربيع الأول ١٤٤٠هـ - ديسمبر ٢٠١٨م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

- الدعوة إلى الإنسانية ، رسالة وخدمة !
- إيمان نبي وعاقبة عدو الله
- الحج : فضائله وآدابه
- الإسلام نظام كامل متكامل للحياة
- من الذي أعلن حقوق الإنسان ؟ الغربيون أم الإسلام ؟
- علم الطب في وجهة نظر الحديث النبوي
- وسطية الآراء الفقهية للإمام ولي الله الدهلوي ، تعريفاً واستعراضاً
- مساهمة النساء في مجال الشعر العربي

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ، الهند
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website:http://www.albasulislami.com

www.albasulislami.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٦٤

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

December 2018 — ديسمبر ٢٠١٨م

العدد الثامن – المجلد الرابع والستون – ربيع الأول ١٤٤٠هـ

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348, 8400476826 Email: albaas1955@gmail.com

www.albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الثامن ـ المجلد الرابع والستون ـ ربيع الأول ١٤٤٠هـ ـ ديسمبر ٢٠١٨م

❖ الافتتاحية :

الدعوة إلى الإنسانية ، رسالة وخدمة ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ التوجيه الإسلامي :

إيمان نبي وعاقبة عدو الله — الإمام العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي — ٩

البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم ، سورة الحجر — معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان — ١٤

أحمد محرم ، شاعر الوطنية والعروبة والإسلام الكبير ..... — الكاتب الإسلامي الشهير الدكتور / غريب جمعة — ١٧

❖ الدعوة الإسلامية :

الحج : فضائله وآدابه — العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٢١

من الذي أعلن حقوق الإنسان ؟ الغربيون أم الإسلام ؟ — الشيخ الطاهر بدوي الجزائري — ٢٧

❖ ربانية لا رهبانية :

التربية الإحسانية وتجديد السلوك إلى الله عند الإمام عبد السلام ياسين — الأستاذ أحمد الفراك — ٣٢

❖ الفقه الإسلامي :

وسطية الآراء الفقهية للإمام ولي الله الدهلوي تعريفاً واستعراضاً — الدكتور محمد فهيم أختر الندوي — ٤١

الاستهلاك وعلاقته بنمط الحياة الإسلامي — د . محمد شاهجهان الندوي — ٤٨

مصرف الفقراء والمساكين في الزكاة وتطبيقاته المعاصرة — الدكتور الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي — ٥٤

❖ دراسات وأبحاث :

علم الطب في وجهة نظر الحديث النبوي — د/ يوسف محمد الندوي — ٦٣

مساهمة النساء في مجال الشعر العربي — د/ محمد سلمان خان الندوي — ٧٠

الجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم : ..... — الأخ هيثم حسن الهدوي — ٧٨

شخصية الشيخ عبدالله بن محمد العمادي في إطار المآثر والإنجازات — د . سعيد بن مخاشن — ٨٤

❖ صور وأوضاع :

الإسلام نظام كامل متكامل للحياة — الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٩١

❖ في روضة الشعر والأدب :

الرسول يكفيني — الأستاذ أبوبكر الصديق الندوي (كيرالا) — ٩٥

❖ أخبار علمية وثقافية :

اجتماع عام لحركة رسالة الإنسانية في رائي بريلي (الهند) — محمد فرمان الندوي — ٩٦

الندوة الثامنة والثلاثون لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في بجنور (الهند) " — " " — ٩٧

محاضرات الشيخ الدكتور السيد سلمان الندوي في ندوة العلماء — " " " — ٩٨

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١.فضيلة الشيخ مولانا سميع الحق في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

٢.الأستاذ كليم الله خان في ذمة الله تعالى — " " " — ٩٩

٣.فضيلة الشيخ محمد عمار الإله آبادي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

٤.الشيخ عبد الرشيد البستوي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٥.نجل الشيخ السيد عبد الرشيد الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٦.حرم فضيلة الداعية الشيخ محمد يوسف الرامفوري إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٧.حرم الحاج مظفر كولا الباتكلي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

٨.رحيل شقيق الأستاذ إرشاد أحمد الأعظمي الندوي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

www.albasulislami.com

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة إلى الإنسانية ، رسالة وخدمة !

التاريخ الإنساني من لدن آدم عليه السلام إلى ما يمتد إليه الآن ، حافل بالسعي والعمل بغية تحقيق معاني الإنسانية في الكون والحياة ، والبحث عن مظان العلم والسعادة لتوفير العيش الصالح في أجواء من الحب والألفة في هذه الدنيا ، ونشر التعاون المتبادل بين الناس على أساس من البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان ، ولا ريب فيما إذا كان التعاون الأول هو البنية التحتية للعيش الصالح السعيد المطمئن لجميع المجتمعات الإنسانية ، دون الطريق الثاني الذي يجر المرء إلى الفساد من كل نوع ، وينشر القلق والفوضى ، والكفر والعصيان ، بين بني الإنسان ، ويحول الحياة جحيماً لا تطاق ، أو يوفر لها متعة رخيصة زائلة في أقل من أوان ، ولا يستغني أي شخص عن التعاون في حياته الفردية والجماعية كلتيهما ، سواء في الحق كما هو شأن أهل الإيمان واليقين ، أو في الباطل كما هو معلوم لدى أهل الكفر والباطل ، وقد ضرب الله سبحانه مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

ولذلك فإن الغيرة في كل سعي وعمل إنما هي الغاية الطيبة أو ما يعاكسها من غرض سيئ كالإفساد في الأرض ونشر الفوضى والأنانية في المجتمعات ، وقد صرّح الله تعالى بذلك بأسلوبه المعجز في كتابه فقال : (وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ . ثُمَّ يُجْزَاهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلأَوْفَىٰ) ، ولذلك فإن من عاش المرضيات الإلهية وطبقها على الحياة جملة ، ومن آثر متاع الدنيا على جوائز السماء الغالية ، لا يستويان مثلاً : (فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَآثَرَ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا . فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ) .

وقد أطلق الله سبحانه وتعالى كلمة الإنسان في الآية المذكورة ، وذلك لا يعني إلا أن يقوم أهل الدعوة والعمل الإسلامي باسم الإنسانية التي هي من أعظم نعم الله سبحانه على هذا الكون ، ولولاه لما كان للسعي والعمل أي مجال ، فكان الإنسان هو المحور الأصيل الذي يدور حوله العالم بجميع ما خلق الله تعالى فيه من أسباب ووسائل طبيعية

www.albasulislami.com

للسعي والعمل ، ووضع له نظاماً شاملاً متكاملاً للعيش فيه ، فمن عاش مرتبطاً بهذا النظام الطبيعي وخضع أمامه في ضوء التوجيهات الربانية ، كتب له النجاح الحقيقي في كل مكان وزمان ، بخلاف من غرته زخارف الدنيا وألهته عن معرفة ذلك الفضل الذي أقامه في صف الإنسان وأكرمه بالعقل المتميز الذي يميز به بين الخير والشر ، والحق والباطل ، ويوفقه لأداء الحقوق التي تعود عليه وفق النظام الطبيعي الذي تقوم عليه الحياة والكون جميعاً ، وما هو إلا نظام السماء المتقن لأهل الأرض وما فيها من الكائنات ظاهرة وباطنة (إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً . إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) .

خلقه الله تعالى من أخلاط النطفتين وشرفه بنعمة الإنسانية التي تتركز في السمع والبصر بوجه خاص وتمهد له الطريق نحو سبيل العز والسعادة ، وبذلك يجد الطريق مفتوحاً إلى أداء شكر هذه النعمة العظيمة بالإيمان بذاته تعالى والخضوع أمام أحكامه وشرائعه ، أو يفشل في أداء هذا الواجب ويكفر بالنعمة التي أكرم بها ورُفع بها قدره ، فيتغافل عن فهم معناها ويؤثر الكفران على الشكر كما يقول الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ سيد قطب في تفسير هذه الآية في كتابه " في ظلال القرآن " :

" ومن ثم جعله سميعاً بصيراً ، أي زوده بوسائل الإدراك ، يستطيع التلقي والاستجابة ، وليدرك الأشياء والقيم ويحكم عليها ويختار ويجتاز الابتلاء ، وفق ما يختار ، إذن فإن إرادة الله تعالى في امتداد هذا الجنس وتكرر أفراده بالوسيلة التي قدرها ، وهي خلقته من نطفة أمشاج كانت وراءها حكمة وكان وراءها قصد ، ولم تكن فلتة ، وكان وراءها ابتلاء هذا الكائن واختباره " .

الواقع أن هذا الكون إنما سُمي عالم البشر لأنه لم يخلق إلا لاختبار الكائن البشري ، ولبيان طريقي الشكر والكفر له ، وقد بيّن الله تعالى هذه الغاية السامية بأساليب كثيرة وآيات عديدة في كتابه العظيم ، فيُقسم تارة بالعصر الذي يعيش فيه الإنسان ويقول بالتخصيص بعد التعميم : (وَٱلْعَصْرِ . إِنَّ ٱلإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ) ، وتارة أخرى بأسلوب التأكيد والتقسيم بصيغة الشرط ثم الاستثناء : (إِنَّ ٱلإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً . إِلاَّ ٱلْمُصَلِّينَ . ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ . وَٱلَّذِينَ فِي

www.albasulislami.com

أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ . لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ) ، ويذكر الإنسان بنفس هذا التقسيم في هذه الاية : (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا) ، ويشير إلى إغراءات الشيطان عدوه بأسلوب التمثيل فيقول : (كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ) ، ويتحدث عن طبيعة الإنسان المتقلبة في حالة النعمة والشكر وفي حال الابتلاء والكفر : (فَأَمَّا ٱلإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ . وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَانَنِ) .

ومن خلال وجود الإنسان في عالمه البشري وُجدت طبقات كثيرة كان يتوزع فيها الإنسان ويفقد طريقه السليم للعيش في هذه الدنيا ، وتغيب عنه الغاية الأصيلة التي خُلق من أجلها ، ويتيه في متاهات من الجهل والتمرد والعصيان ، وعبادة الأصنام والأوثان ، فلم تكن بعثة الأنبياء والرسل إلا لتوجيهه نحو الصراط المستقيم الذي يؤديه إلى معرفة رب السماوات والأرض ، والطاعة له والخضوع أمام أوامره ونواهيه ، وما كان من عباده المبعوثين إلى الناس إلا أنهم بذلوا جميع طاقاتهم ووسائلهم في هداية الأمم والشعوب التي بُعثوا إليها ، فاهتدى من هداه الله وضل من كتب له الضلال .

وفي الأخير بُعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ورحمة للعالمين لدعوة الناس إلى الله تعالى ، وعبادته والعيش في شريعته الشاملة الخالدة ، فكان الإسلام هو الدين الكامل الذي أتم الله تعالى عن طريقة نعمته على العالم البشري أجمع ، وهو الدين المرضي عند الله تعالى ، وأمته هي خير أمة أخرجها الله تعالى للعالم كله إلى يوم الدين ، فقامت بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ) .

ولبناء الإنسان المثالي في العالم اليوم وتكوين خير أمة ثم تجديدها لنشر الخير والمعروف والدفاع عن الدين والأخلاق ، ورفع صرح الإسلام عالياً بين النظرات والفلسفات الحضارية المادية ، تعود المسئولية إلى المسلمين أن لا يصرفوا النظر عن بناء مراكز العلم والدعوة ، وملاجئ التعليم والتربية الإيجابية ، فإن لها دوراً كبيراً في العودة بالأمة الإسلامية إلى منصبها السابق وإيجاد الوعي الإيماني في النفوس ، في ضوء كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولذلك فإن الاعتناء الزائد ببناء الملاجئ الدينية والمدارس

www.albasulislami.com

الإسلامية ، من متطلبات العصر الراهن ، وهي في الواقع مصانع الرجال ، وبها يعود اعتبار الإنسانية إلى جميع المجتمعات البشرية ، ويتوضح مفهومها ، ويتحقق المفهوم الصحيح لرسالة الإنسانية .

ويحسن بي أن أختم هذه السطور المتواضعة بكلمة للمفكر الإسلامي الإمام الداعية سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) يقول :

" لما ابتليت الإنسانية ، وضاعت المروءة الإنسانية ، وانحطت الأخلاق ، ولما رأى الناس أن ما يحكى من وقائع الحق والباطل ، ليس إلا مجرد أسطورة تاريخية أومجرد حديث يحكى ويستمتع به فحسب ، ولا يوجد لها عين ولا أثر ، والحق والباطل ليسا بشيئ ، وكذلك الحلال والحرام ، والكفر والإيمان ، والخير والشر ، والصواب والخطأ ، ليس لذلك كله أثر ، وإنما الأصل هو المال والثروة ، والقوة و النفوذ ، والمنصب والوزارة ، والفرص والوظائف ، ففي هذه الأحوال المنحطة المتدلية أنجبت المدارس الإسلامية رجالاً عباقرة ، وعلماء ربانيين صامدين ، صمدوا في وجه الباطل كالجبال الراسيات ، لم تزلزل أقدامهم مغريات ولا إملاءات ، بل قالوا بكل قوة وصراحة : لا نخاف شيئاً ، ولا نكترث بأحد ، مهما كانت قوته وسلطته ، فإن المدارس الإسلامية قد أنجبت دائماً مثل هؤلاء الرجال الأفذاذ ، وإ ن كتب تاريخ المدارس الإسلامية زاخرة بذكر أمثال هؤلاء الرجال الصادقين في القول والعمل " .

وبهذه الكلمة الوجيزة ذات المعاني الغزيرة نتبين أهمية المراكز الدينية والمدارس الإسلامية وما قامت به من دور رائع عظيم في تخريج أجيال من الدعاة والعلماء والقادة ، ممن لم يغتروا بالمناصب العالية والخزائن الزاخرة بالذهب والجواهر ، وإنما كانت ركيزتهم دين الله تعالى ، وكانت شريعته التي جاء بها رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم محور عملهم ونشاطهم في جميع الأحوال والظروف . (وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي
١٤٤٠/٠٢/٢٥هـ
٢٠١٨/١١/٠٣م

www.albasulislami.com

التوجيه الإسلامي

إيمان نبي وعاقبة عدو اللّه

(بقية تفسير سورة الشعراء)

بقلم : سماحة العلامة الامام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

هنا يستطيع نبي من أنبياء الله تعالى وهو ذو علم وأمانة أن يقول من دون خوف ولا رعب : كَلاَّ ، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ .

تصوروا أنه لا يقول قائد كبير ولا مثقف عظيم ولا فطن لبق أيضاً أن هناك بحر القلزم ، ووصل إلى شاطئه ، وهذا البحر يتلاطم بأمواجه ، ويمتد إلى أميال طولاً وعرضاً . ويتصل بشبه جزيرة سيناء ، التي أراد بنو إسرائيل أن يذهبوا إليها ، وكانت خارج مملكة فرعون .

تصوروا : من هو الرجل الذي لا يتزلزل في هذا الموضع ، وما هي القوة التي لا تنهزم أمام هذه القوة الصارخة ، لكن إيمان نبي من أنبياء الله تعالى يقهر المرئيات الواضحة والحقائق الناصعة ، فتتخدع عنده العيون ، وتسمع الآذان كذباً ، وتخطئ الحواس الإنسانية ، لكن وعد الله تعالى لا يحمل كذباً ولا زوراً .

فيقول آنذاك نبي فقط : كلا ، ولا يكون هذا اليقين إلا في نبي مرسل من الله تعالى فإنه حينما وعده أتمه ، فلا يحول دون النبي الأوضاع ، واستعراض الموقع الجغرافي ، ودراسة الواقع ، بل كان أمامه قول الله تعالى : أسر بعبادي ، واخرج من هنا ، فكان أمامه مشيئة الله تعالى .

كان سيدنا موسى عليه السلام مأموراً من الله تعالى ، وكان واثقاً كبيراً بوعد الله تعالى ، وعرف من نور نبوته أن الغاية العليا التي بُعث لتحقيقها والرسالة التي أكرم بها هي أعلى وأجل من قضية البحر المتلاطم ، فقال بكل ثقة ويقين : كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ . معنى سيهدين أن ربي سيشق لي طريقاً ويبلغني إلى منزلي .

هذا ما قاله بكل قوة واعتماد وطمأنينة قلب وشرح صدر ، كل لفظ من هذه الجملة يدل على كمية الثقة بالله تعالى التي كان يحملها في قلبه ، ثقة بالله تعالى ، وكم كان قلبه مفعماً بالإيمان بقدرة الله

www.albasulislami.com

تعالى ، وكان يؤمن بأن هذا السفر تمّ في الليل بأمر من الله تعالى ، فلا يؤيس الله تعالى عبده من رحمته ، ولا ينقض عهده ، فلماذا نخاف من هذا البحر الهائج المائج ، ولماذا نرتعد من الجيش العرمرم ؟ وإن هذا الخوف من الله تعالى سيجعل الأعداء لقمة سائغة لعباده المؤمنين بالنظر إلى رحمته ورأفته .

هذا الوضع كان في الظاهر خطيراً وذا حساسية ، وهو أن سيدنا موسى عليه السلام كان يذهب ببني إسرائيل خارج حدود دولة فرعون ، ليخرجهم من هذه الأرض التي كانوا يعانون فيها الذلة والهوان ، ويسومهم فيها فرعون سوء العذاب نظراً إلى قوميته ودينه ، وكان موسى عليه السلام يتمنى أن يخرج ببني إسرائيل من حدود دولة فرعون إلى ملجأ الأمن ، وكان بنو إسرائيل قد عقدوا آمالاً ، لكن الله تعالى يريد أن يغرق فرعون وقومه ، إن الوضع وإن كان خطيراً ، وكان الناس يظنون أنفسهم محدقين بالأخطار ، ولكن لم يطرأ على موسى شك ، لأنه كان نبياً حقاً ، وقد سرى ليلاً ببني إسرائيل بأمر من الله تعالى ، فإذا كان كل شيئ بيد الله تعالى ، وهو يملك كل شيئ ، فلا يحدث شيئ يتطرق منه الخوف إلى نفسه ، فقال موسى عليه السلام : كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ . سيشق لي طريقاً ، هل ينشأ هذا الاعتماد واليقين في إنسان يؤمن بالطبيعة والفطرة ؟ ويؤمن بأصول الفطرة الصلبة التي لا تفرق بين ظالم ومظلوم ؟ هل يمكن مثل هذه الجملة من رجل عادي ، الجملة التي يرتج صداها في آذاننا ، وتخلد آثارها في التاريخ حتى الآن ، اسمعوا ماذا يقول الله تعالى : فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ . أمر الله موسى عليه السلام بأن يضرب بعصاه البحر ، فضرب ، فانفلق البحر ، وتوقف الماء كل جانب كالطود العظيم . وكان الماء في شقين : بعض الماء في جانب ، وبعضه في جانب آخر ، فكما يكون تل كبير ، وجبل عظيم ، فتراكم الماء بعضه على بعض وتحول إلى جبلين : جبل الماء في جانب ، وجبل الماء في جانب آخر . وكان بينهما طريق بري .

وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ . أي أتينا بقوم آخرين للإغراق في البحر . فلم يرجعوا إلى الوراء ، بحيث يفر من هنا جيش فرعون ، و ينجو من عذاب الله تعالى . إن بني إسرائيل كانوا في مقدمة الركب ، فأنجاهم الله

www.albasulislami.com

تعالى ، يقول القرآن الكريم : وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ، ويقول : ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ .

وصل قوم موسى إلى البر عبوراً بالبحر بكل أمن وسلامة ، رأى فرعون أن موسى وقومه بني إسرائيل قد عبروا البحر بكل طمأنينة ، فتقدم بجيشه ليأخذ بهم ، فلما وصل فرعون وقومه إلى وسط البحر الذي كان جافاً ، فاستوى عليه الماء ، وغرق فرعون في البحر مع جنوده ، قال الله تعالى : إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ .

سر الفتح :

هذه آية من اليقين والإيمان ، واليقين أكبر قوة في العالم ، وإذا ثبت رجل مؤمن على شيئ كالطود ورفض الخضوع والاستسلام أمام الأوضاع ، وتمسك باليقين والإيمان ، غيَّر مجرى التاريخ ، وتزيفت مقاييس الناس ، وقدمت سير الأنبياء والصحف السماوية كثيراً من عجائب هذا اليقين وغرائبه حتى يكون العقل الإنساني حيراناً بمجرد سماعها .

والجدير بالذكر أن اليقين الذي يكون على أساس النفس الأمارة بالسوء والعناد أو على قوة إنسانية أو مساعدة خارجية ، ولم يكن منبعه الإيمان والعمل الصالح والاعتماد على الله تعالى ، بل الأسباب المادية والحيلة السياسية والرفض والقبول كانت عاقبته فاسدة بعض الأحيان . والتاريخ يشهد أن مثل هذا اليقين جرَّ كثيراً من الويلات والاضطرابات ، وهلكت الأمم والملل من أجل يقين كاذب وعنجهية رجل وغطرسته .

إن ما ابتُلي العالم الإسلامي به اليوم من مصائب وما حدث زلزال في قصر الدين ، وما أصيب المسلمون به من خور واستكانة ، وصارت طبائعهم منهارة ، كأنهم يئسوا من مستقبل الإسلام ، وظهرت كلمات اليأس والقنوط على ألسنة الناس ، وصدرت من أقلامهم ، ففي مثل هذه الأوضاع يحتاج المسلمون إلى يقين يشحن بطارية القلوب الضعيفة ، ويشعل الطبائع الخامدة ويوقظ الهمم الفاترة .

اليقين الذي يحالفه نصر الله تعالى لا بد له من :

١. أن يكون على ثقة خالصة بالله ، ولا يمتزج به وعد لمخلوق ورجاء منه .
٢. أن لا ينقص من المشورة والتدبير ، بل يؤخذ بكل قوة ما حكمت البصيرة الإيمانية .
٣. أن يفعم قلب صاحب اليقين بالإيمان والإخلاص ، ويتصف بالعمل

www.albasulislami.com

الصالح ، ويتصل بالله على سبيل العبودية .

٤. أن يكون أساسه الحق والصدق ، ولا تكون قضيته عند الله تعالى مزورةً أو ضعيفةً .

إذا توافرت هذه الشروط استنزلت نصر الله وتحقق كل ما وعد الله تعالى به .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ :

فقد عامل الله تعالى مع جنود فرعون معاملة العزيز ، أي شأن ألوهيته وقهره ، كما عامل مع بني إسرائيل معاملة الرحمة . فهاتان الصفتان وردتا منفردتين .

وإذا تأملنا فيهما قليلاً بالنسبة إلى بني إسرائيل كان معناهما : العزيز ، هذا نوع من الإباء أيضاً أن المؤمنين بالله والمتصلين به كيف يغرقون ، فكلمة " العزيز " نوع من المطالبة أيضاً . ومعنى الرحيم أن الله سينقذ بني إسرائيل من الغرق .

ومعنى العزيز بالنسبة إلى فرعون وجنوده أن الله إذا أراد إهلاكهم أهلكهم من قبل ، لكن معنى الرحيم أنه أمهلهم برحمته العامة وأخَّر عنهم عذاب الله تعالى .

تحدي قصة موسى للعقل المادي الضيق :

" وتأتي قصة موسى في تحديها الصارخ للعقل المادي ، الذي ينظر إلى الأسباب والحوادث كقوانين أبدية جامدة طبيعية لا سلطان عليها لأحد ، وقوى قاهرة تحكم ولا يحكم عليها ، وجاءت محنة وبلاء للذين ضاق تفكيرهم وكلّت أبصارهم عن أن تنظر إلى ما وراء الأسباب وإلى من هو فوق الأسباب ، وهنا استعرض قصة موسى في القرآن وما فيها من عبرة وذكرى .

يولد موسى في مصر في بيئة قاتمة وخانقة ، وقد انطبقت على بني إسرائيل كل الانطباق ، وسدت في وجوههم المنافذ والأبواب ، حاضر شقي ومستقبل مظلم ، قلة عدد ، وفقر وسائل ، وذلة نفوس عدو قاهر ، وسخرة ظالمة ، لا قوة تدافع ولا دولة تحمي ، أمة مصيرها معلوم محتوم قد خلقت للشقاء والفناء .

ويولد موسى ، وولادته وحياته كلها تحدٍ لفلسفة الأسباب ومنطق الأشياء ، أراد فرعون أن لا يولد ، فولد ، وأراد أن لا يعيش فعاش ،

www.albasulislami.com

يعيش في صندوق خشبي مسدودٍ وفي ماء النيل الفائض ، وينشأ في حضانة العدو ورعاية القاتل ، ويجدُّ به الطلب القوي الساهر ، فيفلت وينجو ويأوي إلى ظل شجرة كئيباً غريباً ، فيجد الضيافة الكريمة ، والزواج الحبيب ، ويرجع بأهله فيلفه الليل المظلم والطريق الموحش ، وتتمخض زوجه ، فيطلب لها ناراً تصطلي بها فيجد نوراً يسعد به بنو إسرائيل ، ويهتدي به العالم ، يطلب النجدة والمدد لامرأة واحدة فيجد النجدة والمدد للإنسانية كلها ، ويكرم بالنبوة والرسالة .

ويدخل على فرعون في أبهته وسلطانه وفي ملئه وأعوانه ، وهو المطلوب بالأمس ، قد تحققت عليه الجناية ، وتوجهت إليه الدعوى ، وفي لسانه حبسة وفي موقفه ضعف ، فيقهر فرعون وملأه بدعوته وإيمانه ، وحجته وبيانه ، ويلجأ فرعون إلى سحرة مصر ليقهر بفنهم معجزة موسى التي ظنها فناً وسحراً ، فإذا بالسحرة خاضعون خاشعون ، يقولون : آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ . ويؤمر بالخروج ببني إسرائيل والإسراء في اَلليل من أرض الظلم إلى أرض النجاة ، ويتبعه فرعون بجنوده ويصبح موسى ، والبحر أمامه ، والعدو من ورائه ، ويخوض البحر فينفلق ويكون كل فرق كالطود العظيم ، ويعتبر موسى وقومه ويتبعهم فرعون بجنوده فيلتهم البحر الهائج .

هكذا يهلك فرعون وقومه الأقوياء الأغنياء ، ويملك بنو إسرائيل الضعفاء الفقراء : وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ ٱلأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ . (اَلأعراف : ١٣٧) " (النبوة والأنبياء في ضوء القرآن : ٧٦ – ٧٧ ، طبع دار القلم ، دمشق الطبعة السابعة : ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م) .

" هذا مثال من أمثلة الدعوات النبوية وحكمتهم ، وهذه الصورة الثانية تختلف في الدعوة والداعية والمدعو إليه ، الدعوة هي دعوة معقدة دقيقة ، الداعية موقفه دقيق وحرج ، والمدعو إليه أكبر ملك ، لذلك هذه الصورة تستحق الاهتمام منا ، وتستحق الدراسة ، وتستحق التأمل الدقيق ، واستيحاء الحكم والنتائج العميقة والبعيدة المدى ، من هذا النموذج الذي عرضه القرآن في حكاية سيدنا موسى عليه السلام وفي حكاية دعوته " . (روائع من أدب الدعوة ، المحاضرة الرابعة) .

www.albasulislami.com

البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم

(أول سورة الحجر)

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان*

سميت بها لأنها تتحدث عن قوم ثمود كانت منازلهم الحجر ، بين تبوك والأردن ، لما ختم الله سبحانه سورة إبراهيم عليه السلام بذكر القرآن ، وأنه بلاغ وكفاية افتتح هذه السورة بذكر القرآن .

١٤ (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ فَظَلُّواْ فيه يَعْرُجُونَ) .

١٥ (لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) .

الاستعارة في (إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) :

فقد أراد بذلك ، لو قالوا : إنه فسدت أبصارنا واعتراها خلل كما يعتري عقل السكران فيختل إدراكه ، وإنما ذكروا الأبصار لوجود الظلام الدامس بعد الانطلاق من الأرض إلى الفضاء الخارجي ، كما أثبت ذلك رواد الفضاء في العصر الحديث في المركبات الفضائية ، ومنهم أول رائد للفضاء (فاجارين) .

وفي كلمتي الحصر والإضراب (إنما وبل) دلالة على أنهم ما يرونه من لا حقيقة له ، وإنما هو أمر خيل إليهم بالسحر حسب اعتقادهم ، وقولهم (بل) أداة الإضراب كأنهم أضربوا عن الحصر في الإبصار إلى العقول بالسحر .

٢١ (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) .

استعارة :

حيث شبهت مقدوراته تعالى الغائبة بنفائس الأموال المخزونة في الخزاين ، فذكر الخزاين على طريقة الاستعارة التخيلية ، و (إن) نافية ولذلك جاءت بعدها من ، وهي حرف جر زائد لإفادة التوكيد .

* وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً .

www.albasulislami.com

وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ :

إشارة إلى المطر ، الماء الذي ينزله الله تعالى للناس للحياة بقدر معلوم ينفع ولا يضر .

٢٢ (وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) .

التشبيه البليغ :

وصف الرياح بأنها لواقح على التشبيه البليغ ، شبهت الرياح المحملة بالسحاب الماطر بالناقة الحامل .

٣٤ (قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) .

٣٥ (وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ) .

الكناية في رجيم – لعنتي :

أي مطرود من كل خير ، فإن من يطرد يرجم ، وعليك لعنتي بالإضافة ليناسب ما قبله من قوله (مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) ؟

٤١ (قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) .

قال ذلك بعد قول الشيطان في الآية السابقة (إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ) .

البلاغة :

الإيجاز : في قوله (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) من أبلغ الإيجازات .

هذا : يدل على القرب فكأنه يشير إلى ما هو مرأى في عيونهم ومسمع من آذانهم وبين أيديهم .

صراط : تدل على الطريق المسلوكة ، والمستقيم أقصر طريق بين نقطتين .

على : تعني الالتزام والإيجاب .

٥٣ (قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ) .

الإنسان يولد طفلاً لا يعلم شيئاً ، وأطلق عليه (عَلِيمٍ) باعتبار ما سيكون عند ما يكبر ويصير نبياً ، وفيه إشارة إلى أن الله يعلمه بالوحي ، وعليم مبالغة عالم .

www.albasulislami.com

٦٥ (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱللَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) .

وَٱتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ - وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ :

أي سر خلف أهلك ، وعبّر عنه بالأدبار لأنها الخلفية ، أما الالتفات هنا فهو مجاز أو كناية عن مواصلة السَّير ، وترك التواني لأن الذي يلتفت في سيره يسير ببطء وتوقف ، وربما دخله الخوف .

٧٥ (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) .

أي للمتفكرين .

٧٦ (وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ) .

٧٧ (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) .

كيف جمع الآية أولاً ، ووحدها ثانياً ، والقصة واحدة ، جمع أولاً باعتبار تعدد ما قص من حديث لوط ، وضيف إبراهيم ، وتعرض أهل لوط لهم ، وما كان من إهلاكهم ، ووحَّد ثانياً باعتبار وحدة قرية قوم لوط المشار إليها بقوله (وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ) .

(اللام) المزحلقة للتوكيد ، وتسمى لام الابتداء ، وموضوعها في الأصل في بدء الكلام ، ولكن إذا حصلت إن في أول الكلام طردت اللام فانتقلت إلى الخبر .

استعارة تصريحية :

لأن الطريق سبيل للوصول ، فاستعمل المشبه به بدلاً عن المشبه .

٨٠ (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ) .

كذبوا صالحاً وهو واحد ، قلت : لم يؤمنوا برسالة صالح كما لم يؤمنوا بالرسل قبله ، مما يدل على أنه دعاهم للإيمان بالله وبالرسل .

٩٢ (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) .

٩٣ (عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) . راجع الأعراف .

انتهت سورة الحجر .

(وستتلوها سورة النحل)

www.albasulislami.com

أحمد محرم
شاعر الوطنية والعروبة والإسلام الكبير
الذي جفاه الإنصاف

(الحلقة الثانية)

بقلم : الكاتب الإسلامي الشهير الدكتور / غريب جمعة

رأينا كيف وجه شاعرنا نقده – على قوته – إلى حاكم مصر ، أفتراه يتردد في نصح الأحزاب المصرية ونقدها ؟ هذا ما لم يكن . . . لقد وقف منها موقف الناصح الأمين الذي لا يميل به الهوى إلى حزب دون آخر كما هي مصيبتنا في كثير من الكتاب اليوم ، لقد محضهم النصح ، جميعاً واستحثهم على الوحدة والتمسك بالأهداف العليا القومية المصرية واستمع إليه وهو ينصح الوفد المصري حين ذهب إلى أوربا برئاسة سعد زغلول للدفاع عن القضية المصرية والمطالبة بحقوق مصر :

وفد الكنانة هل حملت رجاءها ... أم قد حملت أمانة الأزمان
الدهر عين والممالك ألسن ... النيل قلب دائم الخفقان
قل للألى وزنوا الشعوب تذكروا ... في مصر شعباً راجح الميزان
وإذا رماك أولو الخصومة فارمهم ... بالحجة الكبرى وبالبرهان

وكان هواه مع الحزب الوطني الذي اتهمه البعض بأنه من حساد سعد مع أنه كان وطنياً مخلصاً لا يرتضى أنصاف الحلول ولا يقنع إلا بالاستقلال الكامل ولكنه رد على الذين اتهموه بمعاداة سعد يبين لهم رأيه في الاستقلال المزعوم وأنه كان يرجو أن يكون سعد فوق السحاب تنال البلاد خيرها واستقلالها على يديه ، لا ذلك الاستقلال الذي أطلق عليه الاستقلال " الذائب " !

دعاة الخير والإصلاح مرحى ... رضيناكم وإن كنتم غِضابا
رضيناكم على أن تنصفونا ... ولا تظلموا الشعب المصابا
أفي الإنصاف ألا تـوردوه ... على طول الصَّدى الإ سرابا

www.albasulislami.com

زعـمـتـم أنـنـا حساد سعد وقلـتم قول من جهل الصوابا
ولـو ركب الجواد بمصر سعد لـقـلـنا لـيته ركب السحابا
كـفـى يا قـوم بـهتانا وزوراً فقولوا الحق واجتنبوا السبابا
لأنـتـم خـيـر من يرجى لمصر ولـكنا نرى العجب العجابا
وفي استقلالكم (بعض المزايا) ولـكـنّـا لـمسناه فذابا

وحينما عاد سعد ومعه بعض أعضاء الوفد من لندن وقد حملوا معهم ما يسمى مشروع " ملنر " خشي محرم أن تكون هذه خدعة إنجليزية لا تحقق استقلال مصر فصاح صيحته القوية ليوقظ المصريين ويحذرهم من نفاق الإنجليز وخداعهم ، فطالما وعدوا الوعود ومنوا الأماني ولم يوفوا بوعد أو يحققوا أمنية ، كما يحذر المصريين من الفُرقة لأن طريق الحق واضحة فيقول :

أيـهـا القوم مـاذا في حقائبكم إني أرى الشعب قد أودى به القلق
جـئتـم إلينا فباتت مـصـر راجفة مـمـا حـملتم وكاد النيل يحترق
لا قـامـوا طـويلاً بـيـن أظـهـرنا فـما وثـقـنـا بـهـم ولا وثـقـوا
لا يعبث اليوم بـاسـتقلالكم أحد ولا يـغـركـم التضليل والملق
أستـعـبـد الـمال قوماً لو يقال لهم خـوضـوا به عـذاب الله لانطلقوا
برئت من كل ذي نفسين ، واحدة تأبى القضاء وأخرى همها الوَرِقُ

ويصوب محرم سهامه القاتلة وكلماته الحارقة إلى المحتلين ويبدأ بكبيرهم المعتمد البريطاني في مصر وهو اللورد " كرومر " الذي كان يعتبر الحاكم الفعلي لمصر على مدى عشرين عاماً . . . ذلك الكبير الذي يتمرغ على أعتابه بعض صنائع الإنجليز وعملائهم ممن ينتسبون إلى مصر من كبار الساسة ، والشيئ الذي يحيرنا أن تذكر بعض المراجع التاريخية التي يوثق بها أن الشيخ محمد عبده على شهرته الواسعة كان من أصدقاء كرومر ، ولسنا الآن في مجال البحث التاريخي ولكنها ملحوظة .. نبديها لعل هنالك من يدلنا على الصواب في ذلك ، والعلم عند الله . . .

ويقول محرم مخاطباً هذا الكبير . . . الذي هاجم الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم في قصيدة بعنوان " كرومر والإسلام " نختار منها هذه الأبيات :

www.albasulislami.com

رويـــدك أيـــهـــا الـجـبـار فينا فـــإن الـــرأي ألاّ تـــزدرينا
رويـــدك أيـــهـــا الـقـاضي علينا قـضـاء الـظالمين الناقمينا
زعمت الحكم حكمك في كتاب كذبت به الخلائق أجمعينا
ومـــا غـــفـــلـــوا عن الأحـقاد تغلى مـراجـلها وما جهلوا اليقينا
نـــفـــثـــت ســمـومـها إذ ضاق عنها فؤادك والقلوب تضيق حينا

إلى أن يقول :

زعـمـــت الـديـــن والقرآن جاء بـما يُشقى حياة المسلمينا
زعمت (محمداً) لم يؤت رشداً ولم يسلك سبل المصلحينا

ثم يخاطبه بكل قوة بما كان للمسلمين الأوائل :

سَـنـنًّا الـرشـد للغاوين طرا ولولا الدين لم نكُ راشدينا
ولـــولا مـعـشـر خذلوه منا لـكـــنـا السابقين الأولينا
أتزعم ما جنى الجهلاء دينا وتـــأخـذنا بذنب الجاهلينا
رويـدك أيـهـا الـجبار فينا فـمـــا أنـصفتنا دنيا ودينا

ثم يتوجه إلى " بلفور " صاحب الوعد المشئوم فيقول في قصيدة عنوانها " ذكر وعد بلفور " :

تلك العروبة جرحها يجري دماً مـن يـمنـع الإسـلام أن يتألما ؟
هذا تراث (محمد) في قومه أمسى بأيدي الناهبين مُقسَّماً

إلى أن يقول :

(بلفور) بئس الوعد وعدك للأُلى جـعـلـوك لـلأمـل المُخَيَّبِ سُلَّماً
خـدعـوك حين أطعتهم وخدعتهم إذ طـاوعـوك وتلك منزلة العمى
لـسـنا ولاة الـحـق إن لـم يندموا ولأنـت أولـى أن تـتـوب وتندما
تـلـك الإســـاءة ما أستقل بمثلها في الدهر قبلك من أساء وأجرما
إن الـذيـن جـهـلـت حسن بلائهم ضـربـوا لك الأمثال كَيْما تعلما

ثم يحذر المسلمين بقوله :

إيـه شـعـوب المسلمين تنبهوا وتـداركـوا أسبابكم أن تُجذما
الله في إخوانكم وبلادكم أفما ترون الخطب كيف تجهما

ثم يقول عن نفسه يختم قصيدته :

إني وفيت لهم ولست بمسلم إن خنت في دنياي شعباً مسلماً

www.albasulislami.com

أتبيت أولى القبلتين حزينة وأبيت وسنان الجفون منعماً ؟

وبعد أن خاطب عميد الإنجليز في مصر ووزير خارجيتهم في بريطانيا يوجه خطابه إلى الإنجليز أنفسهم في تحد واضح مبيناً عزم وتصميم المصريين على الجهاد أملاً أن يزول عهدهم البغيض ومعهم أنصارهم من العملاء الخونة فيقول :

بنى (التاميز) كونوا كيف شئتم فلن ندع الكفاح ولن نلينا
خذوا أنصاركم إنا نراهم لنا ولقومنا الداء الدفينا
هم الاعداء لسنا من ذويهم وليسوا في الشدائد من ذوينا
ذَمَمْنا عهدكم فمتى نراكم تشدون الرحال مودعينا
زعمتم أن موعدكم قريب كذبتم أمة تحصى السنينا

ومحرم ذو غيرة على دينه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يقبل بأي حال من الأحوال أن يمسهما أحد بسوء ، ولما بلغت القحة بالسياسي والمؤرخ الفرنسي (هانوتو) مبلغاً جعله يزعم أنه لا دواء للتعصب الإسلامي سوى نسف قبر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ووضع أنقاضه في متحف اللوفر بباريس . وقد تصدى له الشيخ محمد عبده فاصلاه ناراً حامية فرجع عن رأيه في خطاب ألقاه في مارس ١٩٠٢م وعندئذ ينهض محرم بدافع من غيرته على دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم فيقول :

أيَهِمُّ (هانوتو) بقبر محمد ويسوع حواليه يطوف ويعكف ؟
أيقول تلك فلا تميد بأهلها باريس من فزع ويهوى المتحف ؟
فلسوف ينظر أي ملك ينطوي ولسوف يعلم أي عرش يُنْسَفُ ؟

ثم يقول :

مهلا دعاة الشر إن وراءكم يوماً تظل به الشعوب تخطَّف
تتخبط الأحداث في غمراته وتظل عن أهواله تتكشف
لله فيما تفعلون بدينه عهد أبر وموعد ما يخلف
مهلا فيومئذ يَحُمُّ قضاؤه إن القضاء إذا جرى لا يصرف
كشف الكتاب عن المحجة فانظروا وأرى المحجة عندكم أن تَصْدِفُوا
لوذوا بأروع ما تخاف نفوسكم إن الكتاب على النفوس لأخوف

وإلى اللقاء في حلقة قادمة بإذنه تعالى .

www.albasulislami.com

الدعوة الإسلامية

الحج : فضائله وآدابه

بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

أقسام الطواف :

إذا وصلتَ إلى المسجد الحرام ، سواء كنتَ معتمراً أو حاجاً وجب عليك الطواف ، وإذا كان السفر للحج كانت أقسام الطواف ثلاثة :

١. طواف القدوم : هذا الطواف يتم بعد وصول الحاج إلى مكة المكرمة ، وهو سنة .
٢. طواف الزيارة : وهو ركن من أركان الحج ، فإذا فات هذا الطواف لا يتم الحج ، ويؤدَّى منذ العاشر من شهر ذي الحجة إلى الثاني عشر ، لكن أداءه أفضل في العاشر من ذي الحجة .
٣. طواف الوداع : يؤدَّى هذا الطواف وقت العودة من مكة المكرمة ، وهو واجب .

هذه أقسام الطواف للحج ، ويكفي في العمرة طواف واحد ، وهو فرض .

أما ما عدا الحج والعمرة فهناك أقسام للطواف ، أمثال طواف النفل ، وطواف النذر وطواف تحية المسجد ، وإذا كان طواف النفل ممكناً للشخص فليحرص عليه ، لأنه أفضل من صلاة التطوع .

مسائل عديدة عن الطواف :

تشترط النية ووجود بيت الله في الطواف ، وهو يشتمل على سبعة أشواط : أربعة أشواط فرض ، وثلاثة واجب .

من واجبات الطواف :

(١) الطهارة (٢) ستر العورة (٣) الطواف من الجهة اليمنى (٤) الطواف خارج الحطيم .

www.albasulislami.com

يجب الالتزام بهذه الأمور في الطواف ، يبتدئ الطواف من الحجر الأسود ، وينتهي عليه بعد إتمام سبعة أشواط .

طريقة الطواف :

إذا استعد المرء للطواف فليأت أمام الحجر الأسود ، وليقم بحيث كان منكبه الأيمن مقابل الجانب الأيسر من الحجر الأسود ، وكان الحجر الأسود على جانبه الأيمن ، فإذا قام هنا نوى الطواف ، والنية هي إرادة القلب ، لكن من الأفضل أن يقول بلسانه : اللهم إني أريد طواف بيتك سبعة أشواط فتقبله مني ويسِّره له .

بعد هذه النية والدعاء ، عليه أن يتنحى قليلاً ويأتي إلى الحجر الأسود ويكون الحجر الأسود مقابل وجهه وصدره ، ويقول رافعاً يديه إلى أذنيه كالصلاة : بسم الله الرحمن الرحيم . ثم إذا تيسرت له فرصة فعليه أن يقبّل الحجر الأسود بكل أدب واحترام ، وإذا كان هنا زحام من كثرة الطائفين والمقبّلين للحجر الأسود فعليه أن يقبّل يده بالإشارة إليه ، وإذا صعب هذا فيكفي أن يقوم مقابل الحجر الأسود ، ويجعل كفيه مواجهة الحجر الأسود بحيث كان ظهر يديه أمام وجهه ، ثم يقبّل كفيه ، هذا يماثل في الشريعة الإسلامية تقبيله ، فعلى المرء أن يبدأ طوافه بكل ما كان ممكناً آنذاك .

وتتم سبعة أشواط للكعبة في طواف واحد ، وإذا وصل الطائف إلى الحجر الأسود بعد إكمال شوطه كمل شوط واحد ، ويتم طواف واحدٌ ، بعد سبعة أشواط ، وليكن في كل شوط حجر إسماعيل (الحطيم) على جهته اليسرى ، وإذا دخل الطائف في حجر إسماعيل لا يعتبر طوافه .

إذا مرَّ الطائف في كل شوط بالحجر الأسود ووجد فرصةً للاستلام فليستلم ، وإلا يقبّل يده اليمنى إلى الإشارة إليه أو المساس به كما ذُكر من قبل وهو يعرف بالاستلام .

لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم دعاء خاص للطواف ، بل ثبتت عنه أدعية مختصرة مأثورة ، في الطواف أمثال : اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة

www.albasulislami.com

حسنة وقنا عذاب النار . هذا الدعاء الأخير آية من القرآن الكريم ، يكثر من قراءته صلى الله عليه وسلم أثناء الطواف ، هذا وما تيسر للمرء من الذكر والتلاوة يقرأ في الطواف .

الرمل والاضطباع :

الطواف الذي يكون بعده سعي سواء كان طواف الزيارة للحج أو طواف العمرة أو طواف النفل يسمى بالرمل ، والرمل هو أن يمشي المطوف في الأشواط الثلاثة الأولى مثل الشجعان نائياً كلكله ومحرِّكاً كتفه مشياً سريعاً ، ولتكن الأقدام متقاربة ، وليجعل وسط الرداء تحت الابط الأيمن ، وطرفيه على الكتف الأيسر ، وهو يسمى في الاصطلاح الاضطباع ، والرمل والاضطباع كلاهما سنة فقط ، وأداؤهما في الأشواط الثلاثه الأولى سنة ، وكل عبادة تكمل بدون السنة ، إلا أن ثوابها ينتقص ، وإذا كان طواف العمرة وجب بعده السعي ، ويستحسن فيه الرمل والاضطباع .

ركعتا الطواف :

يجب أداء الركعتين بعد الطواف ، والأفضل أن تؤديا عند مقام إبراهيم ، وإلا في أي مكان من الحرم ، ويستحسن الدعاء بعدهما ، ثم شرب ماء زمزم ، عند بئره ، ويسن الدعاء بهذا الموضع ، ثم يأتي المرء إلى الملتزم ويلتزم به و يدعو هنا ، لأنه من مواضع استجابة الدعاء .

وليتجه المرء إلى المسعى ، وليدخل من باب الصفا ، وإذا كان هذا الطواف طواف القدوم أو طوافاً ليس معه سعي ، فقد فرغ من أعمال الحرم، وإلا كان الذهاب إلى المسعى ، وسيأتي تفصيل ذلك في مسائل السعي .

مسائل السعي :

وليعلم أن السعي سواء كانت العمرة أو الحج من واجباتهما أيضاً ، وهو أيضا عبادة مثل الطواف ، ولا يكون السعي نفلاً ، بل يتصل بالحج والعمرة فقط ، وللسعي سبعة أشواط أيضاً ، أربعة منها فرض ، والبقية واجبة ، ومن واجبات السعي :

(١) السعي راجلاً بدون عذر (٢) إتمام مسافة السعي

www.albasulislami.com

(٣) الرجوع باتصال الأعقاب في الصفا والمروة .

يبتدئ السعي من جبل الصفا ، وهو على جهة الحجر الأسود ، وإذا خرج من باب الصفا فليقرأ هذا الدعاء : بسم الله ، والصلاة على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك ، وليخرج رجله اليسرى ، وإذا وصل إلى الصفا وبدأ الطواف فليقرأ هذا الدعاء ؛ أبدأ بما بدأ الله به ، إن الصفا والمروة من شعائر الله ، ويصعد على جبل الصفا بحيث يكون أمامه الكعبة المقدسة ، ثم يدعو رافعاً يديه إلى الكتفين كما يكون الدعاء ، وليقل ثلاث مرات بصوت عال : الله أكبر ، لا إله إلا الله ، وليقرأ هذا الدعاء ؛ لا إله إلا الله وحده ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو على كل شيئ قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم يحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدعو لنفسه وللمسلمين جميعاً ثلاث مرات ، ولا يستعجل ، ويدعو بكل طمأنينة ، هذا أيضاً من مواضع استجابة الدعاء .

ثم ينزل إلى المروة مشغولاً بالدعاء والذكر ماشياً بسكينة ووقار ، ويأتي الميلان الأخضران فيهرول أو يجري سريعاً بينهما ، وإذا انتهيا فليوقف الجري ، وليمش سيره العادي ، وتستحسن الزيادة في الدعاء بين الميلين الأخضرين ، وقد روي دعاء أيضاً بهذه المناسبة : " رب اغفر وارحم واعف وتكرم وتجاوز عما تعلم ، إنك تعلم ما لا نعلم ، إنك أنت الأعز والأكرم " .

وإذا وصل إلى المروة فليتجه إلى القبلة وليدع الله تعالى ، وقد تم شوط واحد ، ثم يأتي إلى الصفا ، وتم هنا شوط ثان ، هكذا يتم سبعة أشواط ، وفي كل شوط يدعو على الصفا والمروة ، ويجري بين الميلين الأخضرين ، وإذا تمت سبعة أشواط فليأت إلى الحلاق للحلق أو القصر ، وإذا كان هذا السعي للعمرة فقد تمت العمرة ، وليخرج من الإحرام .

وليعلم أن شروط الطواف والسعي إذا فات واحد منها بطل الطواف والسعي ، ولا يتم أداؤهما ، لكن إذا فات الواجب كان الطواف والسعي ناقصين ، فإذا فاتت الشروط فلا بد أن يعيد الطواف والسعي ، وإذا علم

www.albasulislami.com

بهذا النقص بعد فوات الأوان ، وكان النقص له صلة بالفرائض فيجب عليه دم .

هناك أمور عن الطواف والسعي ، إذا قام بأدائها المرء كان سعيه وطوافه وفقاً للسنة المطهرة :

١. الأفضل قراءة كلمات الدعاء والذكر التي أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة رضي الله عنهم ، وإذا لم يكن أي دعاء محفوظاً لدى الطائف فليقرأ : ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وليكن تكرار هذا الدعاء بين الركن اليماني والحجر الأسود .
٢. وليكن الطواف بغاية من الأدب والاحترام .
٣. الحذر أشد الحذر من رفع الصوت في الدعاء أثناء الطواف ، لأنه يخل بالمصلين والمطوفين ، فيجب خفض الصوت في مثل هذه الحالة .
٤. غض البصر أثناء الطواف ، وتركيزه على موضع القدم ، وعدم الالتفات يمنةً ويسرةً ، حتى يمتنع النظر إلى الكعبة المشرفة أثناء الطواف .
٥. عدم الاختصار أثناء الطواف ، وعدم عقد الأيدي مثل الصلاة .
٦. الإكثار من أدعية وردت فضائلها في الكتاب والسنة أثناء الطواف غير : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار :

أ. اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة .
ب. سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
ت. اللهم إني أعوذبك من الكفر والفاقة ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة .
ث. اللهم قنّعني بما رزقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف على غائبة لي بخير .

٧. يستحب الجري بين الميلين الأخضرين في كل شوط من السعي ، إلا أن الرمل يسن في الأشواط الثلاثة من الطواف فقط .
٨. التكلم أثناء الطواف والسعي وقت الحاجة ، والعمل الكثير الذي يبطل الصلاة لا يمتنع في الطواف والسعي ، بمثل هذه القيود يختلف

www.albasulislami.com

السعي والطواف عن الصلاة .

٩. المعذورون أو كبار السن الذين لا يمكن لهم الطواف والسعي على أقدامهم يستطيعون أن يطوفوا جالساً بالعربية Wheel Chair أو مضطجعاً على أمثالها من الآلات .

المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) داخل الكعبة (٢) خلف مقام إبراهيم (٣) عند باب الكعبة (٤) في المطاف مقابل الحجر الأسود (٥) قريباً من الركن اليماني بين الحطيم وباب الكعبة (٦) المحجن (حفرة صغيرة بين باب الكعبة والركن العراقي قرب جدار الكعبة ، وقد سُدت الآن (٧) جميع نواحي بيت الله (٨) في الحطيم تحت ميزاب الكعبة (٩) بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم هنا قبل الهجرة ، وتقع الكعبة وبيت المقد س أمامهما (١٠) عند الركن الشمالي بحيث يقع باب العمرة خلفه (١١) أمام الركن اليماني ، وقيل : كان هنا مصلى آدم عليه السلام أيضاً .

الدخول في الكعبة المقدسة :

إن ارتفاع باب الكعبة المقدسة يساوي داخل بلاطها ، ويقدر هذا الارتفاع أكثر من قامة رجل ، فيصعد إليه الإنسان بالسلم ، فإذا وفق لرجل الذهاب إلى بيت الله تعالى فليدخل بكل أدب واحترام ، غاضاً بصره ومردِّداً دعاء دخول المسجد ، وليصل ركعتين فيه ، وليرجع بعد الدعاء والإنابة إلى الله تعالى ، ولا يذهب داخل الكعبة للنزهة والمتعة ، ولا يأخذ وسائل غير مرضية للدخول فيها ، إن لم تتيسر له هذه الفرصة ، لأن الدخول في الكعبة ليس بواجب ، وهو عمل مندوب ، وليس من المعقول أن يأثم الإنسان لاختيار عمل مندوب ، وإن حجر إسماعيل (الحطيم) جزء من بيت الله ، وتحصل هذه السعادة بالدخول في الحطيم أيضاً ، لأنه جزء من داخل الكعبة حينما بنى قريش الكعبة من جديد نقص مالهم ، فتركوا بناءه ، وهو منذ ذلك الحين بدون سقف .

www.albasulislami.com

من الذي أعلن حقوق الإنسان ؟ الغربيون أم الإسلام ؟

الشيخ الطاهر بدوي الجزائري*

إن أجهزة الحكم ليست غايةً في ذاتها ، وإنما هي وسيلة لتحقيق سعادة الأفراد وضمان سلامتهم وكفالة حريتهم وصون كرامتهم ، ولذلك حرصت الحكومات الديمقراطية على وضع نصوص عامة في دساتيرها تحدد فيها الأهداف المثلى وتلزم الحكام والشعوب برعايتها والحفاظ عليها والاهتداء بها عند سن القوانين والأنظمة .

أطلق الفرنسيون على هذا النوع من الحقوق والحريات اسم " حقوق المواطن " ثم " حقوق الإنسان " ، لأنها غير قاصرة على المواطنين . ويقول المؤلفون الفرنسيون : إن " بيان حقوق الإنسان " الذي يضمن حريات الأفراد وحقوقهم هو ثمرة أفكار الفلاسفة الأحرار الذين عاشوا في القرن الثامن عشر ، ودعوا إلى مكافحة الاستبداد والظلم ومهدوا لقيام الثورة الفرنسية . فلما تسلم رجال الثورة الحكم في فرنسا نشروا " بيان حقوق الإنسان والمواطن " عام ١٧٨٩م تحقيقاً للمثل العليا والمبادئ الرفيعة التي دعا إليها الفلاسفة ثم جعلوا هذا البيان مقدمة لدستور عام ١٧٩١م ، وبذلك أضافوا عليه صبغة قانونية متميزة .

وهكذا يزعم الفرنسيون أنهم أول شعب أعلن حقوق الإنسان وأنهم لم يكتفوا بكتابتها في دساتيرهم ، ولكنهم لخصوها بثلاث كلمات ، اتخذوها شعاراً لفرنسا ، ونقشوها بأحرف من ذهب على واجهات مبانيهم العامة ، وهي : (الحرية ، المساواة ، الأخوة) .

أما الأمريكان فيزعمون أنهم أصحاب " حقوق الإنسان " وإن الفرنسيين ليسوا إلا مقلدين لهم ، وحجتهم قوية ، لأن وثيقة " إعلان

* كبير علماء الجزائر .

www.albasulislami.com

الاستقلال " تحمل تاريخ عام ١٧٧٦ فهي أسبق من الثورة الفرنسية . وقد جاء في مقدمة الوثيقة التي وضعها ممثلو الولايات الأمريكية : " إننا نعد الحقائق التالية من البديهيات : خلق الناس جميعاً متساوين وقد منحهم الخالق حقوقاً خاصةً لا تنتزع ، منها : الحياة والحرية والسعي وراء السعادة " . وهكذا تتنازع أمتان كبيرتان في القرن العشرين ، شرف وضع " حقوق الإنسان " .

إن " الإعلان العالمي لحقوق الإنسان " تعتبر الوثيقة التي أقرتها في باريس الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ ونصت فيها على حقوق البشر الأساسية وهي مؤلفة من مقدمة في ثلاثين مادة منها :

١. يولد البشر كلهم أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق ، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء " . وفي المادة ٤ : " لا يسترق ولا يستعبد أحد " وفي المادة ١٨ : " لكل إنسان الحق في حرية الفكر والضمير والدين وهذا الحق يوليه الحرية في تغيير دينه أو معتقده والإعراب عنهما بالتعليم والممارسة والعبادة وإقامة الشعائر الدينية " . وفي المادة ٢٥ : " لكل إنسان الحق في مستوى من العيش كاف لضمان الصحة والهناء له ولعائلته " . وفي المادة ٢٦ : " للوالدين حق الأولوية في اختيار نوع التربية لأولادهم " وفي المادة ٢٧ : " لكل إنسان الحق في أن يشترك بحرية في حياة المجتمع الثقافية " . . .

ونحن إذ نحتفل بهذه الذكرى ندرك بالبصر والبصيرة أن الذي وضع حقوق الإنسان هو منقذ البشرية من العداوة والطغيان وعبادة الأوثان المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام . . . وانظر كيف يحث سيد البشر على المساواة والحرية والأخوة .

١. فعن المساواة يقول صلى الله عليه وسلم : " الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح " . ويفسر قوله تعالى في سورة الحجرات : " يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ " (١٣) بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو بكر البزار عن حذيفة رضي

www.albasulislami.com

الله عنه : " كلكم بنوا آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان " .

وهكذا تسقط جميع الفوارق وجميع القيم وتتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض ، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون : ألوهية الله للجميع وخلقهم من أصل واحد كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله تعالى . وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية الجاهلية بكل أنواعها وألوانها . . .

وكانت هذه المساواة عامة في كل شيئ . لقد ورد في الصحاح أن ناساً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعفو عن امرأة ذات نسب أصابت سرقة حفاظاً على شرف أسرتها . فأجاب عليه الصلاة والسلام غاضباً : " إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا أذنب الضعيف فيهم عاقبوه وإذا أذنب الشريف تركوه . والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها " فهذه هي المساواة في تطبيق القوانين .

أما المساواة في القضاء فلم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم سوى قضاء واحد يجلس أمامه الناس كلهم لا فرق بينهم . وأما المساواة في طلب المناصب فليس أقوى في التعبير عنها من هذا الحديث الشريف : " من ولى رجلاً شيئاً من أمور المسلمين وهو يعلم أن فيهم من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين " ، ومثل هذا يقال في الضرائب : فإنها تجبى من الناس على قدر المساواة ، فمن كثر ماله كثرت زكاته ومن قل ماله قلت صدقاته .

كانت أعماله صلى الله عليه وسلم كلها أدلة واضحة على أنه كان يقيس الناس بمقياس كفايتهم وصدقهم ، ولا يلتفت البتة إلى أنسابهم لأنها لا تغني عن الفضيلة شيئاً . وجاء الخلفاء الراشدون من بعده فمضوا على هذه القدوة العطرة في المساواة بين الناس . كانوا لا يقدمون رجلاً على رجل إلا بسابقيته في الدين وحسن بلائه في سبيل الله ومتانة خلقه وقوة فهمه وإدراكه . لقد أوصى عمر بن الخطاب سعداً رضي الله عنهما ، حين ولاه على العراق فقال له : " يا سعد ، لا يغرنك من الله إن

www.albasulislami.com

قيل خال رسول الله ، فإن الله عز وجل لا يمحوا السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء . الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت عليه النبي منذ بعث إلى أن فارقنا فألزمه " . وضرب ابن عمر بن العاص رضي الله عنه عامياً في مصر فهدده بأن سيشكوه إلى أمير المؤمنين عمر فقال له : أنا ابن الأكرمين " يعني بذلك أنه فوق القضاء أو فوق العقوبة بسبب شرف نسبه . فقام عمر بن الخطاب أبو حفص رضوان الله عليه يدعو العامي المصري إلى أن يضرب " ابن الأكرمين " كما ضربه .

إن اختلاف الألسنة والألوان واختلاف الطبائع والأخلاق واختلاف المواهب والاستعداد هو تنوع لا يقتضي النزاع والشقاق ، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات . ألا ترى أنه لما خاطب أبو ذر الغفاري رضي الله عنه في ساعة غضب رجلاً أسود بقوله : يا ابن السوداء ، انتهره الرسول صلى الله عليه وسلم كما انتهر الذي جاء يستشفعه في حد من حدود الله وغيرهما ، فقال له : " طف الصاع ، طف الصاع " : ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح " . بهذا يحارب الإسلام الحنيف عقدة التمييز العنصري واللوني التي ما زالت متفشية بين الشعوب الغربية التي تظهر تمسكها بحقوق الإنسان فيحاربها أشد حرب ويعنف أصحابها أشد تعنيف .

٢. أما الأخوة فما نظن أحداً دعا إليها دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جعل جنسية المؤمن عقيدته . قال عليه الصلاة والسلام في حديث مشهور : " مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . هكذا كان يحدد الرسول صلى الله عليه وسلم الأخوة في نطاق الآية الكريمة من سورة الحجرات " إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " الآية (١٠) هكذا ذاق الصحابة هذه الرحمة وكذا الذين اتبعوهم بإحسان . فقد ذكر المؤرخون أن رجلاً في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أرسل مع

www.albasulislami.com

ابنه صدقة يتصدق بها على فقير ، فطاف أحياء دمشق حياً بعد حي يلتمس الفقير فما وجده ، حتى اضطر إلى أن يعيد الصدقة إلى أبيه .

٣. وأما ما يتعلق بالحرية فما صنع لها أحد مثل الذي صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم . ألم يحرم الشرك ؟ بلى . الله وحده رب الناس فمن يعبد غيره مشرك ومن يستعبد غيره كذلك مشرك . . . فهذا قضاء على كل أنواع العبوديات .

كانت العرب في جاهليتها ، يسترق بعضها بعضاً إما بالخطف أو بالقمار أو بالدين أو بالغزو . فمنع النبي صلى الله عليه وسلم كل هذا . فما عاد يجوز لمسلم أن يسترق مسلماً ولا لعربي أن يسترق عربياً . قال عمر : " لا ملك على عربي " . أما الأرقاء الذين اشتراهم المسلمون من البلاد الأجنبية أو حملوا إليهم أسرى في حرب مشروعة . فهؤلاء أيضاً أفادوا من عطف الرسول صلى الله عليه وسلم : فقد دعا المسلمين إلى الرفق بهم وإلى عتقهم وتحريرهم تقرباً من الله أو كفارة في بعض الحالات الخاصة ، وفوق هذا كله جاء القرآن الكريم يعلن جواز مكاتبتهم بقوله : " وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ آتَاكُمْ "(النور/ ٣٣) . وهذه الآية متى طبقت تطبيقاً كاملاً تحقق إلغاء الرق لأنها توجب على المسلم أن يكاتب رقيقه متى سأله المكاتبة وعلم فيه خيراً . والخير هو الإسلام أولاً ثم القدرة على الكسب فلا يتركه كلا على الناس بعد تحرره ، ولن يتحرر الرقيق حقاً إلا إذا قدر على الكسب بعد عتقه . . .

وإذا كان " إعلان حقوق الإنسان العالمي " قد نص على كثير من الحريات والحقوق الجديدة فمن حقنا أن نقرر منذ الآن أن فقهاء المسلمين لا يعارضون شيئاً من أحكامه إلا فيما يتعلق بارتداد المسلم عن دينه لأنه عبودية لغير الله ، وبزواج مسلمة بكافر حفاظاً عن عقيدتها ونسلها . . . فكل الأمور تعالج في كل قطر بما يوافق مبادئ الإسلام الحنيف ويكفل المصلحة العامة . فلا رابطة إلا رابطة الإيمان ولا ارتباط إلا بين الذين يرتبطون بالله جل علاه .

والله نسأل أن يلهمنا الصواب . آمين .

www.albasulislami.com

ربانية لا رهبانية

التربية الإحسانية وتجديد السلوك إلى الله
عند الإمام عبد السلام ياسين

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الأستاذ أحمد الفراك*

١. السلوك المنهاجي الجهادي : مراجعة وتجديد

١. مراجعة واستئناف

كتب الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله عن مسألة السلوك وما يرتبط بها في جميع مؤلفاته ، وعالج أغلب قضاياها التفصيلية في كتاب الإحسان ضمن الفصل الخاص بـ " الاقتصاد " (الفصل الحادي عشر) ، نظراً لارتباط معاني السلوك والسير في لغة القرآن والسنة بمعاني القصد والتوسط والاستقامة ، وبسط فيه الحديث عن ستة نماذج من كبار الأئمة السالكين إلى الله تعالى (جعفر الصادق والغزالي والجيلاني والرفاعي والشاذلي والسّرهندي رحمهم الله جميعاً) ووصاياهم وتنبيهاتهم وآهاتهم ، كما نبّه إلى بعض الأخطاء والانحرافات التي طرأت في التاريخ قصد تقويمها وإرجاع الأمر إلى ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك وحده كفيل بتوحيد تصورنا وسلوكنا . فقد " كان الصحابة رضي الله عنهم في جهاد الذلة على المؤمنين والشدة على الكافرين والإنابة لرب العالمين . وانْحَسر السادة الأماجد النورانيون من بعدهم عن الميدان الجهادي ، جلهم لا كلهم ، فكانوا أحلاس بيوتهم، فرغوا من الشأن العام ليتفرغوا لشأن التربية الخاص " .[1]

٢. التخلص من التقليد التاريخي

رغم أن أهل الولاية والسلوك في تاريخنا هم الصوفية غير أنه لا معنى لتجديد السلوك إلى الله من غير الرجوع به إلى السلوك الصّحابي الجامع ، والانتقال من السلوك التبركي التاريخي المستكين إلى السلوك الإحساني الجهادي المتسامي ، إذ التبرك فهمٌ منغلق للتربية الإيمانية الإحسانية ، " سجّادة ومجلس كان يتصدّره الشيخ المؤسس ، فلما توفاه

* أستاذ الفلسفة والفكر ، بجامعة عبد المالك السعدي ، بتطوان/ المغرب .

[1] ياسين عبد السلام ، الإحسان ، مرجع سابق ، ١٩٩/١ – ٢٠٠ .

www.albasulislami.com

الله جلس مجلسه على سجادته " وارث " من أبنائه الدينيين أو الطينيين ، واستمر في تقليد الأب الروحي للجماعة ، وحافظ على التقاليد ، واجتهد داخل المذهب التربوي ، واتخذ لنفسه ولمن معه سقفاً بشرياً بينه وبين الله ورسوله ، وحرص ألا يُزاد حرف على " وظيفة " الشيخ الراحل وأذكاره . وهكذا تكونت مدارس وطرق ، في طيها العارفون بالله أحياناً ، وفي طيها المريدون ، وفي طيها أصحاب الأحوال والكرامات ، وفي طيها كل شيئ إلا التجديد الذي مات مع الشيخ رحمه الله [1] ، ووراثة التبرك هاته لا تثمر علماً ولا سلوكاً ، إذ تكتفي بشكليات وسطحيات وذكريات مختلطة بعبارات " غامضات من كلام القوم ومصطلحاتهم " ، وشتان بين " الفقه التبرُّكي " و " الفقه السلوكي " إذ المتبرك لا علم له بـ " معاني السلوك والوصول والمعرفة " . [2]

مشكلة أخرى تتصل بما سبق وهي مشكلة العهد والبيعة الصوفية ، وهي بيعة طقوسية احتفالية مغلقة مغرقة في الشكليات والذكريات . [3] لذلك يكون المطلوب أولاً في عمليات التجديد المتكاملة التخلص من عائق تقليد عادات تاريخية في السلوك ، على جميع المستويات قصد تحقيق التأسي الكامل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسير على منهاجه . يتساءل الإمام ياسين رحمه الله : كيف يمكن أن نقوم ونتحرك وننال المطالب العالية الغالية وطوق التقليد في أعناقنا ؟ كيف يمكن ، وهذا الطوق الثقيل يثقل تاريخنا وتراثنا ينقض ظهرنا . . . كيف وكيف ونحن نرجو الإفادة والعلم ممن هم دون القرآن والسنة ؟ [4]

وفي طريق معالجة أدواء التقليد السلبي يرى الإمام أنه لا ينبغي أن نخاصم السلف ونقاطع ميراثهم وننكر فضل السابقين ونقلب صفحة من تاريخنا الزاخر على كل حال ، بل يجب أن نستأنس بما أثلوه لنا من معرفة وعلوم وجواهر ودُرر ، نأخذ الروح ونترك الشكل ، نستفيد من خبرتهم دون أن ننحجب عن الأخذ من المعين المطلق : القرآن والنبوة ، يقول الإمام رحمه الله : " المطلوب الآن وبعد الآن استجماع ما تفرق بعد زمان الصحابة ،

[1] المرجع نفسه ، ص : ٢٤٥ .
[2] المرجع نفسه ، ص : ٩٢ .
[3] ياسين عبد السلام ، الإحسان ، مرجع سابق ، ٤١٨/٢ .
[4] ياسين عبد السلام ، نظرات في الفقه والتاريخ ، الدار البيضاء ، دار الخطابي للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، ص : ١٤ .

www.albasulislami.com

واكتساب الشخصية الجهادية الصحابيّة ، واستصحاب ما ترثه أجيالنا من علماء الدين الأولين والآخرين استئناساً به لا عبئاً ثقيلاً ، اجتهاداً نستضيئ به نحن لنقول كلمتَنا من إزاء القرآن ومن مشارف الصحبة .[1]

وفي هذا الصدد نسوق مثالاً يراجع فيه الإمام – بأدب جمٍّ – بعض مسلمات أكابر الصوفية رحمهم الله لما تتعارض مع أصل قرآني نبوي ، حيث أورد قول الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله : إن أرَدْت الصفاءَ الكليّ ففارق بقلبك الخلق ، وواصله بالحق عز وجل . فارقِ الدنيا ، ودع أهلك ، وسلمهم إلى ربك عز وجل ، وأخرج قلبك عُريانا عن الكل . واقرب من باب الآخرة ثم ادخلها . فإن لم تجد ربك عز وجل فيها فاخرج منها هارباً طالباً للقرب منه . إذا وجدته وجدت كل الصفاء عنده ، ثم راجعه بقوله : " هذا هو الطريق الصوفي والسلوك الصوفي الذي ينبغي أن نهجره هجراً جميلاً لنصل حبلنا بحبل الصحابة رضي الله عنهم ، ولنقتحم عقبات الجهاد الممزوج فيها الصلاح بالفساد ، والصفو بالكدر ، والحلاوة بالمرارة . وإن الفراق الصوفي للأهل وللوطن يقابله في السلوك الجهادي تطهير الأرض من الشرك والفساد حتى نكون للمتقين إماماً ، وحتى يَكونَ لنا بإذن الكريم الوهاب من أزواجنا وذرياتنا قرةُ أعين كما يليق بعباد الرحمان ، ونجد الله ربّنَا كما وجدوا . آمين " .[2]

٣. خصائص السلوك الجهادي

بناءً على ما سبق ومن خلال استقراء العديد من النصوص مبثوثة في أكثر من عشرة آلاف صفحة ، يمكن القول إن السلوك المنهاجي كما جدده الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله يتميز بالخصائص الآتية :

- **الغائية والقصدية**

السالك إلى الله تعالى له غاية يطلبها ثم يسلك الطريق ليصل إليها ، فالسلوك سيرٌ حثيثٌ في سبيلٍ مُوصلٍ إلى غايةٍ عظمى هي معرفة الله ، و " معرفة الله عز وجل والوصولُ إليه عطاءٌ منه سبحانه محضٌ لمن تقرب إليه جلت نِعمه حتى أُحبه فكان سمعه وبصره ويده ورجله . عطاء يتنزل على القلب . عطاء لا يُكيف ومعرفة لا تُكيف . فالعقل السجين في عالم الكم والكيف والعلة والمعلول والفوق والتحت والزمان والمكان آلة

[1] ياسين عبد السلام ، الإحسان ، مرجع سابق ، ١/ ٢٠٠ .
[2] ياسين عبد السلام ، الإحسان ، مرجع سابق ،٢/ ٣١٩ – ٣٢٠ .

www.albasulislami.com

فاشلة كل الفشل في هذا المضمار "[1] ، هذا التوفيق الإلهي وهذه الهداية الخاصة لا تمنع من اختلاف طرائق الوصول وتباين مستويات السلوك ودرجاته ، يقول ابن تيمية : " لفظ الوصول لفظ مجمل ، فإنه ما من سالك إلا وله غاية يصل إليها . وإذا قيل وصل إلى الله ، أو إلى توحيده ، أو إلى معرفته ، أو نحو ذلك ، ففي ذلك من الأنواع المتنوعة والدرجات المتباينة ما لا يحصيه إلا الله تعالى "[2].

يتقرب العبد إلى ربّه بالفرض والنفل ، بالصدق والصحبة والاتباع وبذل الدنيا حتى يصير ولياً لله عز وجل مستقيماً على أمره ، به يرى وبه يسمع وبه يبطش وبه يمشي . . . وإن كتب الله له السابقة صيره عارفاً بالله و " العارفون بالله قرة عين الوجود " مرتبتهم تعلو مرتبة العلماء علو مرتبة هؤلاء على مرتبة العامة . إنهم صنفٌ من أولياء الله زادهم الله من فضله نورانية وإشعاعاً ووراثة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيئ أحبّ إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيئ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته "[3].

- **الاقتحامية والجهادية**

يرتقي العبد في مدارج السلوك ومنازله اقتحاماً ومكابدةً في مقامات الدين (الإسلام والإيمان والإحسان) وسط الجماعة المؤمنة التي تقوى على الجهاد بتوفر الكفاءات والفضائل في أفرادها وتكاملها .[4] ليندرج في سلك المحسنين الذين يحبهم الله تعالى ويحبونه . والحياة الفردية والجماعية كلها عقبات ومخاضات وتحديات تتطلب اقتحاماً ومغالبة لعقبات النفس والهوى والمجتمع ، سلوكاً متسامياً يرتقي بالمؤمنين والمؤمنات ليكونوا من أصحاب الميمنة والسابقين . فـ " السبيل عقبةٌ

[1] المرجع نفسه ، ص : ٧٥ – ٧٦ .
[2] ابن تيمية تقي الدين ، الفتاوى ، مرجع سابق ، ٣٨٩/١١ .
[3] رواه البخاري ، باب التواضع ، رقم : ٦١٣٧ .
[4] ياسين عبد السلام ، المنهاج النبوي ، مرجع سابق ، ص : ١١٧ .

www.albasulislami.com

تُقتحم "[1] ، وبذل وصبر ومصابرة ومرابطة ، فهو سيرٌ وطريقٌ تقطع مسافاتها وغاية يسعى إليها [2] ، وعقبات تُقتحم إلى الله تعالى . وليس دروشة وقعودا وأماني معسولة وشكاوى عاجزة . فـ " يزكي الذاكرون ذكرهم بالجهاد والعمل الصالح . وبذلك يكون التجديد شاملاً لمعاني الإيمان ، وساحاته ، وأقواله ، وأفعاله ، لمقدماته ، ونتائجه ، وسوابقه ولواحقه . لا إله إلا الله محمد رسول الله " .[3]

- **السُنية الاتباعية**

سُنية السلوك في استنباط قواعده وضوابطه من الهدي النبوي ، لا من مدارس التاريخ ، قال الله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ) (آل عمران : ٣١) ، فالسلوك إذن اتباع كامل وسير دائم وعمل شامل على منهاج رسول الله صلى الله عليه وصحابته المكرمين ، قال تعالى : (قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف : ١٠٨) . وذلك بالرجوع إلى " السنة المحمدية الجامعة بين الجهاد الأكبر جهاد النفس ، تزكيتها تزكية قرآنية نبوية شاملة ومتوازنة (وجاهدْهم به جهادًا كبيرًا) (الفرقان : ٥٣) ، وبين الجهاد الأوسع جهاد نصرة الله في الأرض ، بين " المجاهد من جاهد نفسه "[4] و " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر "[5] ، فهل من سبيل لتتويج جهاد النفس بجهاد يُحيي الأمة ويمكن لدين الله في الأرض ؟ هل من الممكن أن نخوض معارك إقامة الدولة الإسلاميَّة دون أن يفوتنا السلوك إلى الله جل وعلا ومعرفته والتقرب إليه ؟ فإننا نقرأ أن الصالحين كانوا في أزمان الفتنة يشتغلون بأنفسهم عن الناس ، بل عن العالم أجمع "[6] ، ويجمل ذلك الإمام رحمه الله بقوله : " نحن مع سيدنا النبي صلى الله عليه

---

١ المرجع نفسه ، ص : ١١٤ .
٢ المرجع نفسه ، ص : ٣٩ .
٣ ياسين عبد السلام ، الإحسان ، مرجع سابق ، ص : ٢٧٨/١ .
٤ رواه الإمام أحمد والإمام الترمذي رحمهما الله عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن .
٥ أخرجه أبو داود (٤٣٤٤) ، والترمذي (٢ /٢٦) ، وابن ماجة (٤٠١١) ، وذكره الألباني رحمه الله في " السلسلة الصحيحة " (٨٨٦/١ وما بعدها) رقم ٤٩١ .
٦ ياسين عبد السلام ، إمامة الأمة ، دار لبنان للطبع والنشر ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ص : ١٣٠ .

www.albasulislami.com

وسلم [1] ، أي مع الأصل لا مع الفرع ، مع الوحي لا مع التاريخ . وقد كان هذا الأمر واضحاً منذ البداية ، إذ ورد في أول عدد من مجلة الجماعة (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) قوله رحمه الله : " إن منهاجنا في الفكر والعمل يستند مباشرةً لكتاب الله وسنة رسوله لا نتخذ بيننا وبينها وسيطاً " [2] ، مهما كانت قيمته في تاريخنا لأنه لا يرقى بأي حال إلى مقام النبوة والأسوة العظمى التي بها وحدها يمكننا أن نصنع ونبدع وحدة للأمة في المستقبل ، ونجيد ونفيد في تربية الإنسان وتغيير ما به وحوله .

- **الصحبة في الجماعة**

السلوك المنهاجي النبوي يجمع بين خُلَّة المربي ومحضن الجماعة المؤمنة ، إذ الإسلام دين الصحبة والجماعة ، والصحبة في الجماعة ، حيث مفتاح الطريق وضمانُ السلوك صحبةُ رجل [3] ، والرجل مغناطيس الجماعة وقطب رحاها ، يقول الإمام رحمه الله : " الخطوة الأولى على طريق التربية والتنظيم ، على طريق المنهاج المؤدي إلى الله عز وجل بالنسبة للمؤمن ، وإلى الخلافة بالنسبة للأمة وإلى سيادة الحضارة الإسلامية بالنسبة للعالم هي الصحبة والجماعة ، هي لقاء رجل يُربيك وجماعة مؤمنة تؤويك وتحضنك ، حتى يسري بصحبة المربي والجماعة إلى قلبك وسلوكك أول سلك من أسلاك نور الإيمان ، وأول نفحة من عبيره ، وأول فيض من مائه " . [4]

أما الصحبة الفردية المختصرة في ثنائية شيخ ومريد هي صحبة طارئة ظهرت نتيجة انفصال الدعوة عن الدولة . ونظراً لطول مدة هذا الانفصال النكد منذ تحولت الخلافة إلى ملك عاض إلى اليوم ، أصبحت وكأنها هي الأصل في حين أن الأصل هو الصحبة والجماعة كما كان في عهد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ثم الصحبة في الجماعة كما كان الأمر في عهد الخلافة الراشدة إذ لم يكن هم الخلاص الفردي منفصلاً عن همّ الأمة ، ولم يكن الذكر منفصلاً عن الجهاد . [5]

---

[1] ياسين عبد السلام ، من شريط سلوك المرأة إلى الله ، يوجد في موقع الإمام www.yassine.net

[2] ياسين عبد السلام ، عنوان لعملنا ، مجلة الجماعة ، عدد ١ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص : ٣٥ .

[3] ياسين عبد السلام ، إمامة الأمة ، مرجع سابق ، ص : ١٤٦ .

[4] ياسين عبد السلام ، المنهاج النبوي ، مرجع سابق ، ص : ١١٩ .

[5] عبادي محمد ، حوار مع الأستاذ محمد عبادي ، موقع الإمام

www.albasulislami.com

لقد كانت التربية النبوية تربية جهادية تقرن السلوك إلى اللّه تعالى بالسلوك في الناس ، ويمثل نهر الإيمان بشُعَبه مجموع السلوك الايماني الجهادي في مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في حياة الفرد والجماعة .

- **العملية التطبيقية**

السلوك إلى الله علمٌ وعملٌ ، ولا جدوى من سلوك الكتب والقول والادعاء ، يقول الإمام : " من يعيش " أزمة إيمان " و " فراغ روح " لن يجد في " علم السلوك " و " قواعد التصوف علاجاً ، لأن السلوك عملٌ لا كلام "[1] ، التزكية يقظة وتوبة دائمة ارتقاء في مدارج الدين ، مكابدة وتوكلاً وصبراً ، لا مجرد اطلاع فضولي أو تخصص مدرسي أكاديمي أو تمصوف متفلسف شاطح .

السلوك إلى الله ليس سكوناً ودعةً ونزهةً وكلاماً وإنما هو طريق شاق دونه حُجب ومزالق وعقبات وعوائق ، تتطلب نية وصدقاً ويقيناً وعملاً ، يقول الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله : " هذه الطريق لا تُسلَك مع النفس والهوى بل مع الحكم والعمل به وترك الحول والقوة والجلادة وأخذ الاستسلام والاستطراح وترك العجلة وأخذ التؤدة (. . .) ، هذا شيئ لا يجيء بعَجَلَتِك . يحتاج إلى حبال ورجال وصبر ومعاناة ومجاهدة . وأن تصحب بعض ملوك المعرفة حتى يدلك ويعرّفك ويحمل عنك ثِقلك . تمشي في ركابه ، فإذا تَعِبتَ أمر بحملك ، أو أردفك خلفه ، إن كنت محباً أردفك خلفه ، وإن كنت محبوباً أركبك في سَرْجه وركب هو خلفك . من ذاق هذا فقد عرفه . القعود مع أهل الأهليّة نعمة ومع الأغيار المكذبين نقمة " .[2]

- **الخلوة في الجلوة**

على خلاف الاجتهاد التزكوي الذي رجح المكث في الخلوات والمفازات والانقطاع عن دنيا الناس ، قال الإمام رحمه الله موضحاً ضرورة تجاوز عوائق الماضي : " لستُ أدعو الأجيال المقبلة للتصوف ! وإن كانت التربية الصوفية هي التي احتفظت بجوهر الأمر كله ، بل أدعو إلى اقتحام العقبة التي انحدر منها الصوفية الكرام عن ذلك الأفق العالي

www.yassine.net، بتاريخ الجمعة ٢٦ يوليوز/تموز ٢٠١٣م .

[1] ياسين عبد السلام ، إمامة الأمة ، مرجع سابق ، ص : ١٣٠ .

[2] الجيلاني عبد القادر ، الفتح الرباني ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص : ٢٤ .

www.albasulislami.com

الجهادي الذي تَحَرك في ذُراه الصحابة المجاهدون ، نالوا بالجهاد المزدوج ، الجهاد الآفاقي والأنفسي درجة الكمال . وجمعوا إلى نورانية القلوب المتطهرة حمل الأمانة الرّسالية إلى العالم . وبذلك لحقوا بمقعد الصدق . ليكن هذا واضحاً "[1] وهو واضحٌ إلا لمن أغضى .

وما لبث رحمه الله يؤكد ، في كتبه ومحاضراته ومواعظه المرئية والمسموعة ، على ضرورة الاتباع وعدم الابتداع ، منها قوله : " كان الناس فيمن قبلنا يسلكون إلى هذا المطلب يطلبون الانجماع على الله عزّ وجلٍ في خلواتٍ ، خلوة كل واحد في حجرته لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً غير جدران الغرفة ، لا يتكلم مع أحد ، ودوام الصمت والجوع والسهر وما تعلمونه . . . نحن أمرنا أمر آخر : أمرنا اتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولصحابته . فكانوا في جلوة ، لم يكونوا في خلوة ، كانوا في جلوة دائمة ومستمرة ، جلوة في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلوة في ميادين العلم ، جلوة في الغزوات وفي السرايا[2] ، أي خلوة وجلوة ، أو قل خلوة في جلوة ، صحبة في جماعة .

٤. السلوك غدا أو استشراف مسألة السلوك عند الأجيال القادمة

نخلص مما سبق إلى أن الإمام رحمه الله ، وهو الخبير بالميدان علماً وعملاً ، قد جدّد في معاني السلوك إلى الله تعالى وأرجعها إلى الأصل النبوي الخالد متخلصاً من أسر الانحدار التاريخي والانحراف السلوكي ، حيث السنة النبوية وحدها الضامن لوحدة الأمة وتخليصها من الفتن التي لحقتها على مر تاريخ المسلمين وما رافقه من تراكم لأخطاء الناس وإضافاتهم وانحرافات من انحرف منهم عن الأصل والقصد . عسى الله أن ينفع بتجديده واجتهاده أجيالاً مقبلة أفراداً وجماعات تريد وجه الله تعالى ورضاه وتتشوق للقائه وتعتصم بحبله وتهتدي بنوره . وهذا رجاؤه في قوله رحمه الله : " النموذج الصحابيّ ، بوجود الصحبة النبوية العظيمة وبوجود الجهاد ، هو مُرتقى طموحنا في مَهْيَع السلوك الجهادي بين يديْ الخلافة الثانية الموعودة المقصودة إن شاء الله تعالى وتقدس "[3] ، مؤكداً أنه " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح

---

[1] ياسين عبد السلام ، من شريط " كيف ننجمع على الله ؟ " ، يوجد في موقع الإمام www.yassine.net

[2] ياسين عبد السلام ، الإحسان ، مرجع سابق ، ص : ٢/٤٥٤ .

[3] المرجع نفسه ، ص : ٤٦٢ .

www.albasulislami.com

به أولها . والخلافة الثانية على منهاج النبوة لن تكون كذلك إلا إن قادها الربانيون أولياء الله . وفي انتظار أن يفتح الله بالفهم على العاملين نتضرع إليه سبحانه أن ينزل رحمته من خلوات التبتل إلى ميادين الجهاد . في انتظار أن يكون لِقِران الصحبة والجماعة معنى موصولٌ موحَّدٌ من حياة العاملين ننادي أولياء الله العارفين بالله أن يتوجهوا بجند الله من صادقي المريدين وعامة المسترشدين نحو توحيد الجماعات ، فتوحيد الجهد ، فتوحيد الأمة في أقطارها ومذاهبها ومدارسها ومشاربها ، حتى يكون المشربُ محمدياً قرآنياً سُنياً محرَّراً من كل عالقات عصور الانزواء والخمول والانكماش " .[1]

وقد كان هذا دعاؤه رحمه الله للأجيال القادمة إن شاء الله : " المرجو من كرمه عزت قدرته وتقدست حكمته أن يَحْبُوَ أَجْيال الخلافة الثانية بما حبا به مجاهدي الأولى من سلوك جهادي تُطوَى لهم فيه المراحل ليفرغوا لإعادة بناء الأمة وتوحيدها ، وتشييد صرح الخلافة ، وحمل رسالة الإسلام إلى العالمين . ويكونُ الله عز وجل وكيلاً عمن اشتغل بمصير الأمة وحمل الرسالة ليصلح شأنه الخاصّ ، ويرفع درجتهُ . حتى إذا اكتمل سلوكه وبلغ الكتاب أجله واستوت نشأته الثانية فتحَ لهُ ليجد نفسه في عِداد الواصلين ، وقد سبق أهلَ المجاهدة بالجهاد ، وسبق أهل الشكر بشكر العاملين كما سبق داود الشاكرُ بالعمل ، خليفةُ الله في الأرض عليه وعلى نبينا وعلى إخوانهما جميعا أفضل الصلاة وأزكى السلام "[2] . المنة والرحمة سبحانه أن يتصل مدد السالكين فيما يستقبلنا من زمان بحضرة النبوة فيكون السلوك جهاديا عفوياً جامعاً مانعاً رائعاً كما كان في عهد الصحابة وهُم في حضن خير البرية صلى الله عليه وسلم "[3] ، واللهم مُنّ علينا برحمتك العظمى ، واحمِل عنا الأثقال ، ويسر لهذه الأمة من الرّجال من يفتح للجهاد ألف باب لا كأبَرِ المكذبين "[4] .

آمين يا رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

---

[1] ياسين عبد السلام ، الإحسان ، مرجع سابق ، ٢٥١/١ .
[2] المرجع نفسه ، ص : ٢١٦ .
[3] المرجع نفسه ، ص : ٢١٥ .
[4] المرجع نفسه والصفحة .

www.albasulislami.com

الفقه الإسلامي

وسطية الآراء الفقهية للإمام ولي اللّه الدهلوي
تعريفاً واستعراضاً

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور محمد فهيم أختر الندوي*

التمهيد :

إن القرن الثامن عشر الميلادي في تاريخ الهند الإسلامي يمتاز بوجود شخصية إسلامية عالمية سجلت آثاراً بعيدة المدى في شتى مجالات العلوم الإسلامية ، وبالأخص في مجال الفقه الإسلامي وعلومه ، وهي شخصية العلامة الإمام الشاه ولي اللّه بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى ١٧٦٢ من الميلاد الموافق ١١٧٦هـ . ومن ميزات الشيخ الدهلوي أنه يتمتع بالقبول والاحترام من قِبل جميع الأوساط العلمية والمذاهب الفقهية والاتجاهات الفكرية في الهند وخارجها ، كما أنه يتمتع بالوسطية والاعتدال في فكره ونظريته تجاه الأمور الخلافية في قضايا الأمة الإسلامية . وقد اعترف بهذه الميزات للشيخ الدهلوي كبار فضلاء العصر من معاصريه ومن بعدهم ، وبذلوا اهتماماتهم الخاصة بكتاباتهم وما فيها من أفكار وآراء علمية وفقهية .

وقبل أن نخوض في تعريف واستعراض آراء الشيخ الدهلوي الفقهية والأصولية نرى من المناسب أن نسلط بعض الأضواء على حياة الشيخ الدهلوي ومراحلها المختلفة ، ليتضح لنا مكونات شخصية الشيخ الدهلوي وملامحها البارزة .

نبذة عن حياة الشيخ الدهلوي :

ولد الشيخ الإمام أحمد المعروف بولي اللّه يوم الأربعاء ١٤ من شوالٍ سنة ١١١٤هـ/الموافق ٢١ فبراير ١٧٠٣م في قرية اسمها فلت ، واقعة حالاً في مديرية مظفر ناغر من ولاية أترابراديش ، قريبة من عاصمة دلهي . أما أبوه فهو الشيخ الفاضل الأجل عبد الرحيم (١٦٤٤ – ١٧١٩م)

* أستاذ مشارك ورئيس قسم الدراسات الإسلامية ، جامعة مولانا آزاد القومية الأردية بحيدرآباد ، الهند .

www.albasulislami.com

بن وجيه الدين الذي ينتهي نسبه إلى الخليفة الراشد الثاني سيدنا عمر بن الخطاب – رضي اللّه عنه – ، وكان الشيخ عبد الرحيم من كبار علماء الهند في عصره ، وقد أسس المدرسة الرحيمية بدلهي يدرس فيها على منهج خاص يتميز بالاهتمام البالغ بنص القرآن الكريم والتربية العملية مع التعليم ، وكان عضواً في هيئة تدوين الفتاوى الهندية كان قد عينه الملك المغولي الصالح أورنغ زيب عالمكير (مدة الحكم ١٦٥٩ – ١٧٠٧م) . واسم والدته فخر النساء ابنة الشيخ محمد الفلتي ، وكانت عالمة . أخذ الشيخ الدهلوي عن والده كثيراً واستفاد منه في علوم الشريعة والتربية الدينية ، وكان ينوه بذلك كثيراً . وكذلك تلمذ على الشيخ محمد فاضل السندي والشيخ محمد أفضل السيالكوتي . وتخرج في الخامس عشر من عمره من المقررات الدراسية من نص القرآن الكريم وتفسيره ، وكتب الحديث والفقه وأصوله ، وكتب المنطق وعلم الكلام والتصوف ، ومن الكتب التي ألفت في علم الحقائق وعلم خواص الآيات وعلم الطب والفلسفة والنحو والمعاني والحساب والهندسة .[1]

وكان من حسن حظ الشيخ الدهلوي أنه سافر في الثلاثين من عمره إلى الحجاز ، وحج في آخر سنة ١١٤٣هـ ، ومكث بها أكثر من سنة ، بقي هناك يتعلم ويدرس ويستفيد ويتتلمذ على أفاضل علماء الحرمين ويتبادل الآراء معهم . فكانت هذه فرصة ذهبية وفرت له الاطلاع على المذاهب الفقهية المختلفة عن كثب ، وبالأخص دراسة الحديث النبوي الشريف . فقرأ كتب الحديث على الشيخ المحدث أبي طاهر محمد بن ابراهيم المدني الكردي الشافعي ، والشيخ محمد وفد اللّه المالكي ، والشيخ تاج الدين القلعي الحنفي . وكانت له علاقة وطيدة مع الشيخ الكردي وحب متبادل بينهما . وبعد أداء الحج مرة ثانية في آخر سنة ١١٤٤هـ ، رجع الشيخ الدهلوي في أوائل ١١٤٥هـ إلى دلهي . فكان سفره إلى الحجاز نقطة تحول في حياته ومبعث فكرة قوية للقيام بنشر علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في الهند ، والسعي للتقريب والتوفيق بين المذاهب الفقهية المختلفة .

وبعد الرجوع إلى دلهي بدأ الشيخ ولي اللّه الدهلوي يبذل أقصى ما

[1] انظر : " الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف " للمصنف ، ذكر فيه الشيخ بالتفصيل الكتب التي قرأها في مختلف الفنون .

www.albasulislami.com

في وسعه من جهود في خدمة العلوم الإسلامية وتربية الرجال وإصلاح أحوال الناس ، وكلل الله سعيه بالنجاح في المجالين كليهما ، أي في مجال خدمة العلوم الإسلامية وفي مجال إعداد النشء وتربية الرجال . فكان من المجال الأول أنه صنف عديدا من المصنفات والكتب على موضوعات متعددة ، وتعتبر كتبه غزيرة العلم عالية الفكر وسط الجادة ، ونالت قبولاً عاماً وانتشاراً واسعاً في الأوساط العلمية في الهند وخارجها ، وقام كثير من الناس بخدمتها وشرحها وترجمتها إلى اللغات المختلفة ، يجاوز عدد مصنفات الشيخ الدهلوي على الخمسين . وبلغ بعض كتبه في الشهرة والقبول أوجهما ، ولايزال كذلك موضع اهتمام واستفادة من قبل العلماء والمفكرين ، ويجدر بالذكر منها " حجة الله البالغة " ، من أعظم عمله في علم أسرار الدين ، و " البدور البازغة " كذلك ، و " فتح الرحمن في ترجمة القرآن " ، ترجمة فارسية لمعاني القرآن الكريم ، و " الفوز الكبير في أصول التفسير " ، و " إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء " ، و " التفهيمات الإلهية " ، و " الإنصاف في بيان سبب الاختلاف " ، و " عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد " ، و " المصفى " شرح الموطأ ، و " المسوى من أحاديث الموطأ " ، و " القول الجميل في بيان سواء السبيل " ، و " أنفاس العارفين " وغيرها .

أما في المجال الثاني فإن الشيخ الدهلوي قد اهتم بتربية رجال لعبوا دوراً بارزاً في خدمة الدين والعلم مثل السيد محمد مرتضى الزبيدي صاحب " تاج العروس شرح القاموس للفيروزآبادي " ، والقاضي ثناء الله الباني بتي ، والشيخ إبراهيم آفندي ، والسيد جمال الدين الرامبوري ، والشاه أبو سعيد الحسني ، والشيخ خير الدين السورتي ، والخواجة محمد أمين الكشميري ، ومثل شقيقه الشاه أهل الله الدهلوي ، وصديقه الحميم محمد عاشق الفلتي ، وأبنائه : الشاه عبد العزيز ، والشاه رفيع الدين ، والشاه عبد القادر ، والشاه عبد الغني .

يتضح من هذه النبذة اليسيرة من حياة الشيخ الدهلوي أنه أدلى بدلوه في إبداء الآراء في عديد من العلوم والموضوعات ، ولذلك تعتبر كتاباته ومصنفاته المختلفة ذات أهمية بالغة في الموضوعات المتعلقة . ولكننا يهمنا هنا إسهاماته التي تنتمي إلى الفقه الإسلامي وأصوله ، وآراؤه التي ذكرها في مصنفاته حول هذا الموضوع فحسب .

www.albasulislami.com

الكتب التي أودع فيها آراءه الفقهية :

نجد في فهرس مصنفات الشيخ الدهلوي كتابين في موضوع الفقه الإسلامي وأصوله ، وهما : " الإنصاف في بيان سبب الاختلاف " و " عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد " . وهذان الكتابان يتناولان موضوعين مهمين من موضوعات الفقه الإسلامي ، وهما قضية الاختلاف الفقهي ، وقضية الاجتهاد والتقليد . ولا شك أن هذين الموضوعين لهما علاقة متينة مع حياة المسلمين ، وأي سوء تفاهم بشأنهما يؤدي إلى التشتت والافتراق في صفوفهم . ولعل هذه الخلفية استرعت انتباه الشيخ الدهلوي إلى الكتابة على هذين الموضوعين . وسوف نتناول فيما يأتي آراء الشيخ الدهلوي في هذين الكتابين بالاستعراض والتقييم ، ليتضح لنا مدى قيمة آرائه وأهميتها ودورها في حياتنا المعاصرة .

لم يكن الشيخ الدهلوي اكتفى بالكتابة على موضوع الفقه الإسلامي في هذين الكتابين فحسب ، بل نجد آراءه الفقهية مبعثرة في عديد من كتاباته الأخرى كذلك ، ويجدر بالذكر هنا كتابه الشهير القيم المسمى بـ " حجة الله البالغة " ، وهذا الكتاب وإن كان في موضوع علم أسرار الدين كما يسميه العلماء ، ولكنه عقد فيه بحثاً على عنوان كيفية استنباط الشرائع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه تناول في آخر القسم الأول من هذا الكتاب مبحث اسباب الاختلاف في الفقه الإسلامي ، وهو مبحث يتشابه إلى حد كبير بما ذكره الشيخ الدهلوي في كتابه السالف ذكره : الإنصاف في بيان سبب الاختلاف ، فنرجح أن هذا المبحث هو الذي طبع في صورة كتاب [1] ، وعلاوة على هذا الكتاب ، نجد بعض آراء الشيخ الدهلوي الفقهية في كتابه " التفهيمات الإلهية " وفي كتابه " فيوض الحرمين " ، وسوف نتناول بالبحث والتحليل هذه الآراء الفقهية أيضاً .

وسوف نرى فيما بعد أن الشيخ الدهلوي يعتبر الموطأ للإمام مالك في الطبقة الأولى من طبقات كتب الحديث ويهتم به كثيراً ، ولذلك فإنه كتب شرح الموطأ باللغتين الفارسية والعربية ، الأولى باسم " المصفي " والثانية باسم " المسوى " ، وفي هذا الشرح أيضاً أبدى الشيخ الدهلوي آراءه

[1] يوجد هذا الكتاب مطبوعاً من دار النفائس بتحقيق الشيخ المحدث عبد الفتاح أبي غدة .

www.albasulislami.com

الفقهية وسعى للتطبيق بين المذاهب الفقهية في القضايا المعروضة .

آراء الدهلوي في الاختلاف الفقهي والمذاهب الفقهية :

نرى الآن آراء الشيخ الدهلوي في قضية الاختلاف الفقهي .

تناول الشيخ ولي الله الدهلوي موضوع اختلاف المذاهب الفقهية ، وبحث عن الأسباب العلمية التي أدت إلى هذا الاختلاف وبين وجوهه وكيفياته ، كما أوضح أنه كيف اتخذ الصحابة وتابعوهم هذا الاختلاف الفقهي وما ينبغي للمسلمين أن يسلكوه في حياتهم تجاه هذا الاختلاف . إنه سلط الضوء أولاً على كيفية نقل الشريعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين أنه كان من جهتين : جهة النقل والرواية وجهة الاستنباط والدراية ، وأوضح أنه كان في الطريقتين كلتيهما نقص تكمله الطريقة الأخرى . وهنا كان أول منشأ الاختلاف في فهم الحديث والاستنباط منه ، ثم لما انتشر الصحابة إلى بلدان مختلفة لنشر الدين والعلم ، وسألهم الناس فيما يعن ويحدث لهم من المشكلات والقضايا وأجابهم وفق الحديث إذا وجدوه أو بالاستنباط والاجتهاد في ضوء العلة حسب فهمهم ، فوقع الاختلاف بينهم في بعض القضايا ، ثم أخذ منهم التابعون وقاموا بالترجيح أو التوفيق في أقوال الصحابة وأخذ منهم من تبعهم ، وهكذا وجدت مذاهب مختلفة .

يقول الدهلوي عن كيفية تلقي الأمة الشرع من نبيها صلى الله عليه وسلم في كتابه حجة الله البالغة:

" وَاعْلَم أَن تلقي الأمة مِنْهُ الشَّرْع على وَجْهَيْن : أَحدهمَا تلقي الظَّاهِر ، وَلَا بُد أَن يكون بِنَقْل إِمَّا متواتراً ، أَو غير متواتر . . . وَثَانِيهمَا التلقي دلالة ، وَهِي أَن يرى الصَّحَابَة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول ، وَيفْعل ، فاستنبطوا من ذَلِك حكما من الْوُجُوب وَغَيره ، فَأخْبرُوا بذلك الحكم ، فَقَالُوا . الشَّيْئ الْفُلَانِيّ وَاجِب ، وَذَلِك الآخر جَائِز ، ثمَّ تلقى التابعون من الصَّحَابَة كَذَلِك ، فدوّن الطَّبَقَة الثَّالِثَة فتاواهم وقضاياهم ، وأحكموا الأَمر" . [1]

ثم يبين نقص وخلل كلتا الطريقتين ، فيقول :

" وَفِي كل من الطريقتين خلل إِنَّمَا ينجبر بِالأُخْرَى ، وَلَا غنى

[1] الدهلوي ، ولي الله . حجة الله البالغة ، تحقيق السيد سابق ، بيروت ، دار الجيل للنشر والطباعة ، الأولى ٢٠٠٥ ، الجزء الأول ، ص : ٢٢٨ .

www.albasulislami.com

لأحداهما عَن صاحبتها . أما الأولى فَمن خللها مَا يدْخل فِي الرِّوَايَة بِالْمَعْنَى من التبديل ، وَلا يُؤمن من تَغْيِير الْمَعْنى ، وَمِنْه مَا كَانَ الأَمر فِي وَاقعَة خَاصَّة ، فَظَنهُ الرَّاوِي حكما كليا ، وَمِنْه مَا أخرج فِيهِ الْكَلام مخرج التَّأْكِيد ؛ ليعضوا عَلَيْهِ بالنواجذ ، فظنه الرَّاوِي وجوبا أَو حُرْمَة ، وَلَيْسَ الأَمر على ذَلِك ، فَمن كَانَ فَقِيها وَحضر الْوَاقِعَة استنبط من الْقَرَائِن حَقِيقَة الْحَال كَقَوْل زيد رَضِي الله عَنهُ فِي النَّهْي عَن الْمُزَارعَة وَعَن بيع الثِّمَار قبل أَن يبدو صَلاحهَا : إِن ذَلِك كَانَ كالمشورة ، وَأما الثَّانِيَة فَيدْخل فِيهَا قياسات الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ واستنباطهم من الْكتاب وَالسّنة ، وَلَيْسَ الاجْتِهَاد مصيبا فِي جَمِيع الأَحْوَال ، وَرُبمَا كَانَ لم يبلغ أحدهم الحَدِيث ، أَو بلغه بِوَجْه لا ينتهض بِمثلِهِ الْحجَّة ، فَلم يعْمل بِهِ ، ثمَّ ظهر جلية الْحَال على لِسَان صَحَابِيّ آخر بعد ذَلِك كَقَوْلِ عمر وَابْن مَسْعُود رَضِي الله عَنْهُمَا فِي التَّيَمُّم عَن الْجَنَابَة ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ اتِّفَاق رُءُوس الصَّحَابَة رَضِي الله عَنْهُم على شَيْء من قبل دلالَة الْعقل على ارتفاق وَهُوَ قَوْله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " عَلَيْكُم بِسنتي وَسنة الْخُلَفَاء الرَّاشِدين من بعدِي " وَلَيْسَ من أصُول الشَّرْع ، فَمن كَانَ متبحرا فِي الأَخْبَار وألفاظ الحَدِيث يَتَيَسَّر لَهُ التفصي عَن مزال الأَقْدَام ، وَلما كَانَ الأَمر كَذَلِك وَجب على الخائض فِي الْفِقْه أَن يكون متضلعا من كلا المشربين ، ومتبحرا فِي كلا المذهبين ، وَكَانَ أحسن شَعَائِر الْملَّة مَا أجمع عَلَيْهِ جُمْهُور الرواة وَحملَة الْعلم ، وتطابق فِيهِ الطريقتان جَمِيعًا ، وَالله أعلم " .[1]

ثم تكلم الشيخ الدهلوي عن الأسباب التي أدت إلى اختلاف الآراء في القضايا الفقهية بين الصحابة رضي الله عنهم ، فيقول :

" اعْلَم أَن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن الْفِقْه فِي زَمَانه الشريف مدونا ، وَلم يكن الْبَحْث فِي الأَحْكَام يَوْمئِذٍ مثل الْبَحْث من هَؤُلَاءِ الْفُقَهَاء حَيْثُ يبنون بأقصى جهدهمْ الأَرْكَان والشروط ، وآداب كل شَيْء ممتازا عَن الآخر بدليله ، ويفرضون الصُّور يَتَكَلَّمُونَ على تِلْك الصُّور الْمَفْرُوضَة ، ويحدون مَا يقبل الْحَد ، ويحصرون مَا يقبل الْحصْر إِلَى غير ذَلِك من صنائعهم ، أما رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يتَوَضَّأ ، فَيرى الصَّحَابَة وضوءه ، فَيَأْخُذُونَ بِهِ من غير أَن يبين أَن هَذَا ركن وَذَلِك

[1] الدهلوي ، ولي الله ، حجة الله البالغة ، تحقيق السيد سابق ، بيروت ، دار الجيل للنشر والطباعة ، الأولى ٢٠٠٥ ، الجزء الأول ، ص : ٢٢٩ – ٢٣٠ .

www.albasulislami.com

أدب ، وَكَانَ يُصَلِّي ، فيرون صلاته ، فيصلون كَمَا رَأَوْهُ يُصَلِّي ، وَحج ، فرمق النَّاس حجه ، ففعلوا كَمَا فعل ، فَهَذَا كَانَ غالب حَاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلم يبين أَن فروض الْوضُوء سِتَّة أَو أَرْبَعَة ، وَلم يفْرض أَنه يحْتَمل أَن يتَوَضَّأ إِنْسَان بِغَيْر مُوالاة حَتَّى يحكم عَلَيْهِ بِالصِّحَّةِ أَو الْفساد إِلا مَا شَاءَ اللَّه ، وقلمَا كَانُوا يسألونه عَن هَذِه الأَشْيَاء [1] . . . . . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفتيه النَّاس فِي الوقائع ، فيفتيهم ، وترفع إِلَيْهِ القضايا ، فَيَقْضِي فِيهَا ، وَيرى النَّاس يَفْعَلُونَ مَعْرُوفاً فيمدحه أَو مُنْكراً فينكر عَلَيْهِ ، وكل مَا أفتى بِهِ مستفتياً ، أَو قضى بِهِ فِي قَضِيَّة ، أَو أنكرهُ على فَاعله ، كَانَ فِي الاجتماعات ، [2] . . . . . وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ كَانَت عَادَته الْكَرِيمَة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأى كل صَحَابِيّ مَا يسره اللَّه لَهُ من عِبَادَته وفتاواه وأقضيته ، فحفظها ، وعقلها ، وَعرف لكل شَيْء وَجها من قبل حفوف الْقَرَائِن بِهِ ، فَحمل بَعْضهَا على الإِبَاحَة ، وَبَعضهَا على النّسخ لأمارات وقرائن كَانَت كَافِيَة عِنْده ، وَلم يكن الْعُمْدَة عِنْدهم إِلا وجدان الاطمئنان والثلج من غير الْتِفَات إِلَى طرق الِاسْتِدْلَال كَمَا ترى الأَعْرَاب يفهمون مَقْصُود الْكَلَام فِيمَا بَينهم ، وتثلج صُدُورهمْ بالتصريح والتلويح والإيماء من حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ، وانقضى عصره الْكَرِيم وهم على ذَلِك ، ثمَّ إِنَّهُم تفرقُوا فِي الْبِلاد وَصَارَ كل وَاحِد مقتدى نَاحيَة من النواحي ، فَكثرت الوقائع ، ودارت الْمسَائِل ، فاستفتوا فِيهَا ، فَأجَاب كل وَاحِد حَسبَمَا حفظه أَو استنبط ، وَإِن لم يجد فِيمَا حفظه أَو استنبط مَا يصلح للجواب اجْتهد برَأْيهِ ، وَعرف الْعلَّة الَّتِي أدَار رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا الحكم فِي منصوصاته ، فطرد الحكم حَيْثُمَا وجدهَا لا يألو جهدا فِي مُوَافقَة غَرَضه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام ، فَعِنْدَ ذَلِك وَقع الاخْتِلَاف بَينهم على ضروب " . [3]

(للبحث صلة)

---

[1] الدهلوي ، ولي الله ، حجة الله البالغة ، تحقيق السيد سابق ، بيروت ، دار الجيل للنشر والطباعة ، الأولى ٢٠٠٥ ، الجزء الأول ، ص: ٢٤٣ .

[2] الدهلوي ، ولي الله ، حجة الله البالغة ، تحقيق السيد سابق ، بيروت ، دار الجيل للنشر والطباعة ، الأولى ٢٠٠٥ ، الجزء الأول ، ص : ٢٤٤

[3] الدهلوي ، ولي الله ، حجة الله البالغة ، تحقيق السيد سابق ، بيروت ، دار الجيل للنشر والطباعة ، الأولى ٢٠٠٥ ، الجزء الأول ، ص : ٢٤٤ – ٢٤٥ .

www.albasulislami.com

" الاستهلاك وعلاقته بنمط الحياة الإسلامي "

(الحلقة الرابعة الأخيرة)

د . محمد شاهجهان الندوي*

المساعدات المطلوبة لتحسين البيئة من وجهة النظر الشرعية :

المسلم الذي يعيش نمط الحياة الإسلامي يرجى منه أن يتخذ الخطوات التالية لتحسين البيئة :

١. صيانة المياه متجنباً من الاستخدام غير اللازم لها .
٢. استخدام وسائل النقل العامة (Public Transportation) .
٣. استخدام الحقائب والأكياس المصنوعة من القرطاس أو القماش لحمل الأشياء دون حقيبة بلاستيكية (Plastic Bag) .
٤. عدم إضاءة للمصابيح الكهربائية خلال النهار ، والاعتماد فقط على ضوء أشعة الشمس ، وإطفاء الإنارة (Turn off the Lighting) في الغرف الفارغة في المنزل خلال الليل مما يساعد في ترشيد استهلاك الطاقة الكهربائية (Electric Power) .
٥. استخدام الكهرباء بأقل ما يمكن ويلزم .
٦. استبدال المصابيح العادية بالمصابيح الموفرة للطاقة ، ومصابيح الفلوريسنت (Fluorescent Lamps) ، وكذلك استخدام الإضاءة الموجهة (Directed Lighting) بدلاً من الإضاءة العامة .
٧. التخفيف في استهلاك السلع والخدمات ، بقدر ما يمكن .
٨. غرس الأشجار إلى أقصى ما يمكن .
٩. عدم استخدام الأشياء التي تضر المياه الموجودة تحت الأرض .
١٠. عدم إلقاء النفايات الكيميائية في البواليع .
١١. عدم استخدام منظف (Detergent) يشتمل على الفوسفات (Phosphate) الذي يؤدي إلى تلوث المياه .
١٢. فتح الصنبور (Water Tap) عند الحاجة إلى استخدام الماء فقط ، وعدم تركه مفتوحاً بعد الانتهاء من استخدامه ، والتأكد من إغلاقه جيداً حتى لا يتسرب الماء دون انتباه أحد .

* عميد كلية الحديث بالجامعة الإسلامية ، شانتابرم ، بتيكاد ، مالابرم ، كيرالا ، الهند .

www.albasulislami.com

١٣. إصلاح الحنفيات (Faucets) والمواسير (Pipes) الخاصة بالماء في حال عطلها أولاً بأول ، وعدم تركها تستنزف المياه .
١٤. إذا كانت هناك حديقة (Garden) حول المنزل ، أو أشجار ، ومزروعات (Plantings) فيمكن الاستفادة من مياه غسل الفواكه ، أو مياه الوضوء في ريّها .
١٥. مراقبة طريقة استخدام الأطفال لصنبور المياه (Water Tap) ، وحثهم للحفاظ على المياه وعدم الإستهتار بها .

ويدل على ما تقدم ، القواعد الشرعية التالية :

- لا ضرر و لا ضرار .
- الضرر يزال بقدر الإمكان .
- الضرر لا يزال بضرر مثله .
- يتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى .
- يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام .
- الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف .
- إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما .
- يختار أهون الشرين .
- درء المفاسد مقدم على جلب المنافع .[1]

المبحث السادس : ترشيد الاستهلاك في ضوء المقاصد الشرعية .

إن المصالح خمس ، أساساً ، وترمي أحكام الشرع إلى تحقيقها ، وتلك المصالح الخمس هي : حفظ الدين والنفس (بما فيه العرض) والنسل والعقل والمال ، وإن أي خلل في قيام هذه المصالح يوقع في الحرج والشدة التي تصل إلى حد الضرورة ، والضرورة يترتب عليها فقد النفس أو عضو من الأعضاء ، أو ينزل بالإنسان من الشدة ما لا يستطيع احتماله ، وهي أعم عند الفقهاء من الاضطرار ، الذي هو بلوغ المرء حداً إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب الهلاك . فالأمر الضروري عندهم : هو ما تقوم عليه حياة الناس ، ولا بد منه لاستقامة مصالحهم ، وإلا عمت فيهم الفوضي والمفاسد .[2]

والحاجة هي الحالة التي تصير الحياة معها عسرة يشق على الإنسان احتمالها ، ولا يستحيل احتمالها .

[1] راجع : مجلة الأحكام العدلية ، الْمَادَّةُ ١٩ وما بعدها ، كراتشي ، كارخانه تجارتِ كتب ، عدد الأجزاء : ١ .
[2] خلاّف ، علم أصول الفقه ص ١٩٩ ، ط : ٨ ، دمشق ، دار القلم ، عدد الأجزاء : ١ .

www.albasulislami.com

والتحسينات هي الأمور التي تجعل أحوال الناس تجري على مقتضى الآداب العالية والخلق القويم .

و بناءً على ذلك نقول : إنه ينبغي للمستهلك المسلم الحكيم أن لا يعيش حياته الدنيا بغرض الترفيه عن نفسه بكل الوسائل المتاحة ، ولا ينبسط ، ويبالغ في الأخذ بما وراء التحسينيات ، بل ينفق بحسب احتياجاته الضرورية تاركاً حيزاً لطارئ المرض وغيره ، وحيزا لتقديم العون إلى ذوي الحاجات في المجتمع ؛ فإنه مأمور بالاقتصاد ، ومراعاة الاعتدال ، حتى في العبادة من صلاة وصيام ، حيث قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " هَلَكَ المُتَنَطِّعُون – قالها ثلاثاً – " .[1] واعتبر النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – الاستجابة لكل مطالب النفس ورغباتها سرفاً ، حيث قال – عليه الصلاة والسلام – : " إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت " .[2]

فالمطلوب من المستهلك المسلم التمسك بالاعتدال في كل شيئ حتى في الإنفاق على نفسه وعياله ، والتصدق على الفقراء والمساكين ، وحتى في استهلاك الموارد البيئية .

وعلى كل ، فإنه يوجد الكثير من النّصوص الشرعية التي تحثُ على ترشيد الاستهلاك ، وتُلزم المُسلمَ بالاعتدال في استهلاكه ونفقاته ، وتمنعه من التّبذير والإفراط ، فيُعدّ ترشيد الاستهلاك (Rationalization of Consumption) في الإسلام عملاً تعبدّياً ، لا تخيير فيه ؛ إذ يَمتازُ استهلاك المسلم غالباً بالوسطية والاعتدال والثبّات النسبي ، دون تقتير أو بُخل ، فترشيدُ الاستهلاك في الإسلام يُحقّق مفهوم الاستغلال الأفضل للسِّلع (Goods) والموارد (Resources) والخدمات (Services) ضمن أسس وسطية ، وذلك أن التّرشيد ركيزة (Pillar) من الرّكائز الاجتماعيّة المهمّة التي تُبنى عليها المُجتمعات السّليمة .

مجالات ترشيد الاستهلاك في ضوء المقاصد الشرعية :

ترشيد الاستهلاك هو الاستعمال الأمثل للموارد والأموال ، والاعتدال والتّوازن في الإنفاق ، والسعي لتحقيق منفعة الإنسان وعدم المبالغة في البذل ، وذلك عبر إجراءاتٍ (Procedures) وخططٍ واعيةٍ

[1] أخرجه مسلم رقم ٢٦٧٠ ، وأبوداود رقم ٤٦٠٨ ، وأحمد رقم ٣٦٥٥ ، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – .

[2] أخرجه ابن ماجة رقم ٣٣٥٢ ، وأبو يعلى في مسنده رقم ٢٧٦٥ ، عن أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه – ، بإسناد فيه مقال .

www.albasulislami.com

(Conscious Plans) توجّه الفرد للطريق الأمثل ؛ لتحقيق تنمية مستدامة (Sustainable Development) هدفها حفظ حقوق الأفراد في الحاضر والمستقبل . فلا شك أن جميع المجالات التي يتصرف فيها الإنسان ، ويقع تأثيراتها على البيئة والمجتمع ، هي مجالات ترشيد الاستهلاك ، ولكن بالأخص نحتاج إلى ترشيد استهلاك الكهرباء والماء ، بحيث يتم الاستعمال الأمثل لموارد الطاقة ، والمياه ، مع الأخذ بعين الاعتبار راحة الناس ومقدار إنتاجيّتهم ؛ إذ لا يعني ترشيد استهلاك الماء والكهرباء أن يُمنع استخدامهما بشكل مطلق ، إنّما يعني الاستِخدام والإفادة من هذه الطاقات بأساليب ذات فَعاليةٍ أكبر (More Effective Methods) لتجنّب إهدارها . وقد أكد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – على الاستعمال الأمثل (Optimal Use) للمياه ، والابتعاد عن تجاوز الحد ، وإن كان في العبادة ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي – رضي الله تعالى عنهما – ، أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَ : " مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟ " قَالَ : أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ ؟ قَالَ : " نَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ " .[1] ويقاس عليه استخدام الكهرباء ، فيلتزم فيه كذلك بالاعتدال .

المبحث السابع : مسؤولية الدول بشأن ترشيد الاستهلاك في ضوء المقاصد الشرعية .

حفظ النفس مقصد من مقاصد الشريعة الرئيسية ، ولا يتم ذلك إلا بسلامة البيئة وحفظها ، فتعتبر سلامة البيئة مقصداً شرعياً كذلك ؛ فإن البيئة إذا لم تكن سليمة نقية خالية ، فإن النفس ستتعرض للأمراض والعلل ، كما ستعوق المكلف عن أداء ما أوجبه عليه الله من حقوق لربه تعالى ، ثم لنفسه ، وأهله ، ومجتمعه ، ووطنه ، ومن يشاركونه في الحياة . ومن ثم يجب على الدول ترشيد الناس بشأن الاستهلاك ، وخاصة بخصوص استهلاك الموارد الطبيعية ، فحياة عامة الناس تتوقف على الاستخدام الأفضل للموارد ، فصيانتها من التدمير هي مسؤوليات الحكومات ، فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمُ ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ " .[2]

ومن ثَمَّ يجب على الحكومات أن تتخذ الخطوات التالية :

[1] أخرجه ابن ماجة رقم ٤٢٥ ، وأحمد رقم ٧٠٦٥ ، بإسناد فيه مقال .

[2] أخرجه أبو داود رقم ٢٩٤٨ ، والترمذي رقم ١٣٣٣ ، عن أبي مريم صاحب رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – ، وهو حديث صحيح .

www.albasulislami.com

١. وضع القوانين الصارمة الخاصة باستهلاك الموارد الطبيعية (Natural Resources) ، وخاصة المياه والكهرباء .
٢. محاسبة المتسببين بتدمير الموارد الطبيعية ، وهدر المياه على كافة المستويات .
٣. تدريب مهندسي المياه والكهرباء والفنيّين العاملين في مجالهما ، على أحدث الطرق المتبعة عالمياً لتوفير المياه ، واستخدام الأجهزة الحديثة بهذا الخصوص .
٤. اتخاذ الوسائل التي تدفع الجمهور إلى ترشيد الاستهلاك ، والاستعمال الأمثل للموارد والأموال والاعتدال والتّوازن في الإنفاق ، والسعي لتحقيق منفعة الإنسان وعدم المبالغة في البذل .
٥. اتباع طُرق الحصاد المائي (Following Water Harvesting Methods) .

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد !

فيجدر بي أن أذكر في نهاية المطاف أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث فيما يلي :

١. الاستهلاك هو النشاط الذي يُشبع به الإنسان حاجاته ورغباته .
٢. الاستهلاك في الإسلام ليس مجرد استهداف لإشباع الغرائز وسد الحاجات الإنسانية ، بل إنه عبادة من العبادات وقربة من القرب بشرط أن يكون باعتدال ، ونية صالحة .
٣. بين الاستهلاك والإنتاج صلة وثيقة ؛ لأنه هو الهدف من النشاط الاقتصادي ، فهو المحرك للعجلة الاقتصادية .
٤. الإنتاج من وجهة النظر الشرعية أمانة ومسؤولية يتحملها المنتج من أجل استخدام الموارد الاقتصادية بطريقة تنسجم مع المقاصد الشرعية .
٥. للمستهلك في الإسلام عدة حقوق جميعها ترمي إلى حمايته من الغش وإلحاق الضرر به ، وجشع التجار .
٦. صلة الاستهلاك بنمط الحياة الإسلامي (Islamic Lifestyle) وثيقة .
٧. نمط الحياة الإسلامي يقتضي أن يتم الاستخدام الأمثل للموارد والأموال ، والاعتدال والتّوازن في الإنفاق .

www.albasulislami.com

٨. الاستهلاك من وجهة النظر الإسلامية أمر مرتبط بالعقيدة الإسلامية ، فإذا كان تحريم الربا هو أحد التشريعات الإسلامية بشأن المال ، فإن الإسلام يوجه بداية الخطاب فيه إلى الذين آمنوا واتقوا الله ، أي أن الأمر كله التزام عقائدي وسلوك عقائدي أيضاً .
٩. الاستهلاك مرتبط بالمكونات الأخلاقية ، فينبغي للمرء المسلم أن يفكر قبل الاستهلاك في أن عليه تقديم العون إلى الفقراء المستحقين للعون من غير مال الزكاة كذلك .
١٠. الاستهلاك مرتبط بالمكونات التشريعية ، فالاستهلاك في نظر الفقهاء أمانة ومسؤولية يتحملها المستهلك من أجل استخدام الموارد الاقتصادية بطريقة تنسجم مع المقاصد الشرعية ؛ لأن المسلم يسأل عن ماله فيما أنفقه ، والإنفاق قد يكون استثمارياً ، وقد يكون استهلاكياً .
١١. الاستهلاك مرتبط بالمُكَوِّنَات البيئية كذلك ، فعلى المرء المسلم الذي يعيش في نمط الحياة الإسلامي أن يحاول التطور والتقدم والرقي والتنمية بطريقة متزنة معتدلة لا تفسد البيئة ، ولا تلوِّث الوسائل الطبيعية .
١٢. على الدول وضع القوانين الصارمة الخاصة باستهلاك الموارد الطبيعية (Natural Resources) ، وخاصة المياه والكهرباء .
١٣. اتخاذ الحكومات الوسائل التي تدفع الجمهور إلى ترشيد الاستهلاك ، والاستعمال الأمثل للموارد والأموال والاعتدال والتّوازن في الإنفاق ، والسعي لتحقيق منفعة الإنسان وعدم المبالغة في البذل .

المقترحات :

١. لفت انتباه الأمة الإسلامية إلى الابتعاد عن الإفراط والتفريط في باب الاستهلاك .
٢. قيام ولي الأمر بحمل الناس على الالتزام بحدود الاعتدال والتوسط في باب الاستهلاك .
٣. قيام الدولة بتوفير الضروريات لكل مواطن ، والقضاء على ظاهرة الفوارق الكبرى التي تسود بين الفئات الثرية والفئات الفقيرة ، بالحد من مرتبة الإسراف .

www.albasulislami.com

مصرف الفقراء والمساكين في الزكاة
وتطبيقاته المعاصرة

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي[1]

المطلب الثالث : مقدار ما يعطى الفقير والمسكين من الزكاة :

الفقراء والمساكين أول من جعل الله لهم سهمًا في الزكاة ، وهذا يدل على أن الهدف الأول من الزكاة في الإسلام هو القضاء على الفقر والعوز .

وقد اتفق العلماء على أن يدفع للفقراء والمساكين ما تندفع به حاجتهم ، وتتحقق به كفايتهم ، ولكن إذا لم تندفع الحاجة ولم تتحقق الكفاية إلا بدفع النصاب الشرعي الموجب لإخراج الزكاة أو ما يزيد عليه فهل إنه يدفع ذلك للإجابة عن هذا السؤال نقول :

لقد وقع اختلاف شديد بين الفقهاء في هذه المسألة ، وإنا نورد آراءهم فيها كلاً على حدة .

أولاً : الحنفية :

اتفق الحنفية على إعطاء الفقير والمسكين دون النصاب ؛ أي : أقل من مأتي درهم ، واتفقوا أيضًا على أن الشخص إذا كان عليه دين – بالغًا ما بلغ – فإنه يعطي من الزكاة ما يسد دينه مالم يبلغ المأتين ، وكذلك إذا كان له أولاد فإنه يعطي أولاده ، ما به يكون لكل واحد دون المأتين ، ولو زاد المجموع عن ذلك بكثير .[2]

وإذا كان الاتفاق بين الأحناف قائما فيما تقدم ، إلا أنهم اختلفوا في أمرين :

---

[1] لكناؤ ، الهند .

[2] راجع : المبسوط ١٣/٣ ، البدائع ٤٨/٢ ، تبيين الحقائق ٣٠٥/١ ، الهداية وفتح القدير ٢٧٨/٢ – ٢٧٩ البحر الرائق ٢٦٨/٢ ، الدر المختار ٣٧٤/٢ – ٣٧٥ ، الفتاوى الخانية ٢٦٦/١ ، الفتاوى الهندية ١٨٨/١ .

www.albasulislami.com

الأول : إعطاء الفقير أوالمسكين النصاب الموجب لدفع الزكاة ؛ أي : إعطاء كل واحد منهما تمام المأتين ، واختلفوا في ذلك على ثلاثة آراء :

أ. الجواز مع الكراهة ؛ وهو قول أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) ومحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) .

ب. عدم الجواز ؛ وبه قال زفر [١] .

ت. الجواز بدون الكراهة ؛ وهو رواية عن أبي يوسف (ت ١٨٢هـ) [٢] .

الأدلة :

استدل من رأى جواز دفع المأتين للفقير مع الكراهة بأن شرط الإعطاء موجود وهو الفقر ، وأما دليل الكراهة فلأن الإعطاء جاور المفسد يريدون بالمفسد – عدم جواز الدفع بالغنى – فصار كمن صلى ، وبقربه نجاسة [٣] .

وأما من رأى عدم الجواز فاستدل بأن الغنى قارن الأداء ، فحصل الأداء إلى الغنى [٤] .

وأما من رأى الجواز بدون الكراهة فقال : إن جزءًا من المأتين مستحق لحاجته للمال ، والباقي دون المأتين فلا تثبت به صفة الغنى إلا أن يعطيه فوق المأتين [٥] .

ويبدو أن الراجح في المذهب الحنفي ، هو رأي من ذهب إلى جواز إعطاء المأتين لكن مع الكراهة .

الأمر الثاني : هو الإعطاء فوق النصاب ، وليس عنده أولاد ، ولم تكن ذمته مشغولة بدين . فالراجح في المذهب الحنفي أن ذلك غير جائز لفقدان الإعطاء شرطه وهو الفقر .

وهناك رأي ضعيف في المذهب يروى عن أبي يوسف (ت ١٨٢هـ)

---

[١] هو زفر بن الهزيل بن قيس ، فقيه إمام من المتقدمين من تلاميذ أبى حنيفة وهو أقيسهم ، وكان يأخذ بالأثر إن وجده ، وهو أحد الذين دونوا الكتب ، تولى قضاء البصرة ومات بها سنة ١٥٨هـ ، انظر : الأعلام ٨٧/٣ ، الجواهر المضية ٢٤٣/١ .

[٢] راجع : المراجع السابقة وأحكام القرآن للجصاص ٣٤٢/٤ ، حاشية الشلبى ٣٠٢/١.

[٣] راجع : المبسوط ١٣/٣ ، تبيين الحقائق ٣٠٥/١ ، البحر الرائق ٢٦٨/٢ ، الهداية ٢٧٦/٢ .

[٤] راجع : وفتح القدير ٢٧٩ ، البحر الرائق ٢٦٨/٢ .

[٥] راجع : المبسوط ١٣/٣ – ١٤ ، فتح القدير نفس الصفحة .

www.albasulislami.com

في إحدى الروايتين أن ذلك جائز مع الكراهة [1] .

ثانيًا : المالكية :

لم يحدد المالكية القدر الذي يعطى للفقير والمسكين ، وتركوا ذلك للاجتهاد ، وإلى ما يحقق كفاية الفقير والمسكين ، وعللوا ذلك بقولهم : " والغنى في الناس مختلف ؛ فمنهم من يغنيه القليل لقلة عياله وخفة مؤنته ، ومنهم من لا يغنيه إلا الكثير لكثرة عياله وشدة مؤنته ؛ فهذا مما يجتهد فيه " [2] .

معنى ذلك : أنه يجوز أن يدفع من الزكاة لفقير واحد أكثر من نصاب ولو صار به غنيًا ، بخلاف الحنفية الذين وضعوا حدًا أعلى للإعطاء وهو المائتا الدرهم بصرف النظر عن كفايتها من عدمها .

ولكن هل يعطى كفاية سنة ، أو يعطى كفاية العمر الغالب ؟

الراجح في المذهب المالكي أن يعطى كفاية سنة ؛ إذ أن الزكاة لا تدفع في السنة إلا مرة واحدة ، فإن كانت تدفع أكثر من مرة في السنة فإنه يعطى من كل واحدة ما يبلغه للأخرى [3] .

وهناك رأي في المذهب المالكي الذي يقضي بجواز دفع كفاية أكثر من سنة إذا كانت حاله تقتضي ذلك : يقول الشيخ علي العدوي (ت ١١٨٩هـ) : " ولا يعطى أكثر من كفاية عام ؛ حيث كان يرجى له شيئ ، وإلا أعطي ما يغنيه حيث كان حال الآخذ فقيرًا " [4] .

ثالثا : الشافعية :

اتفق الشافعية مع المالكية في أن كلاً من الفقير والمسكين يُعطى تمام كفايته ، وما تندفع به حاجته دونما تحديد لهذا الذي يحقق الكفاية . قال الماوردي : " يدفع إلى كل منهما – أي الفقير والمسكين – إذا اتسعت الزكاة ما يخرج به من اسم الفقر والمسكنة إلى أدنى مراتب الغنى ، وذلك معتبر بحسب حالهم ، فمنهم من يصير بالدينار الواحد غنيًا

[1] راجع : المبسوط ١٣/٣ ، فتح القدير ٢٦٢/٢ ، منحة الخالق ٢٦٨/٢ ، أحكام القرآن للجصاص ٣٤٣/٤ .

[2] مواهب الجليل ٣٤٨/٢ .

[3] راجع : بداية المجتهد ٢٢١/١ ، الشرح الكبير وحاشية الدسوقي ٤٩٤/١ ، شرح الخرشي ٢١٥/٢ ، الذخيرة ١٤٩/٣ .

[4] حاشية العدوي بهامش الخرشي ٢١٥/٢ .

www.albasulislami.com

إذا كان من أهل الأسواق يربح فيه قدر كفايته فلا يجوز أن يزاد عليه ، ومنهم من لا يستغني إلا بمأة دينار ، فيجوز أن يدفع إليه أكثر منه ، ومنهم من يكون ذا جلد يكتسب بصناعته بقدر كفايته ، فلا يجوز أن يعطى وإن كان لا يملك درهمًا "[1] .

ولكن الشافعية اختلفوا في مدة هذه الكفاية – أو بعبارة أخرى – هل يعطى كل منهما كفاية سنة ، أو كفاية العمر الغالب ؟

فذهب فقهاء الشافعية من العراقيين ، وكثير من الخراسانيين إلى أنهما يعطيان كفاية العمر الغالب[2] ، (والعمر الغالب هو ستون سنة) ، فيعطيان كفاية بقية هذه المدة ، وإن عاش بعدها – أي بعد الستين يعطى سنة سنة[3] .

واستدل أصحاب هذا الرأي بما رواه قبيصة بن مخارق رضي الله عنه – قال : تحملت حمالة[4] فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال : أقم يا قبيصة حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ، قال : ثم قال : يا قبيصة ، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يُمسك ، ورجل أصابته جائحة[5] اجتاحت ماله فحلت حتى يصيب قوامًا من عيش[6] – أو قال : سدادًا من عيش[7] ورجل أصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من ذوي الحجا[8] من قومه ؛ لقد أصابت

---

[1] الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٠٧ ، ولنفس الرأي راجع : العزيز شرح الوجيز ٤٠١/٧ – ٤٠٢ .

[2] راجع : المجموع ١٩٤/٦ ، مغني المحتاج ١٠٨/٣ ، الإقناع للخطيب ١٩٩/١ ، حاشية الشيخ محمد المرصفى على حاشية البحيرني ٣١٤/٣ .

[3] راجع : إعانة الطالبين ١٨٩/٢ ، حاشية البحيرقي ٣١٤/٣ .

[4] هى ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة . النهاية ٤٤٢/١ .

[5] هى آفة سماوية كالسيل والنار والبرد وهذه الأشياء لا تخفى آثارها عند كونها ووقوعها . انظر : معالم السنن ٦٧/٢ . زهر الربى على المجتبى للسيوطي ٦٧/٥ .

[6] قواماً من عيش : ما يقوم بحاجته الضرورية انظر النهاية ١٢٤/٤ : زهر الربى ٦٧/٥ .

[7] سداداً من عيش : ما تسد به الحاجة والخلل . انظر الصباح المنيلا ٢٧٠ نيل الأوطار ١٦٧/٤

[8] ذوي الحجا أى العقل أي لا يكونوا من أهل الغباوة والغفلة ممن يخفى عليهم بواطن الأمور ومعانيها ، انظر مختار الصاح ص ٥٣ معالم السنن ٦٧/٢ .

www.albasulislami.com

فلانًا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش أو قال : – سدادًا من عيش – فما سواهن يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتًا " [1] .

ووجه الاستدلال من الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز له المسألة ؛ حتى يصيب ما يسد حاجته ويحقق كفايته .

وذهب البغوي (ت ٥١٠هـ) والغزالي (ت ٥٠٥هـ) وغيرهما من الخرسانيين إلى أن الإعطاء يكون لمدة سنة فقط ، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخر لأهله قوت سنتهم [2] ، ولأن الحاجة تندفع بإعطائه كفاية سنة ؛ لأن الزكاة تتكرر كل سنة فإذا احتاج بعد ذلك يعطى كفاية سنة أخرى من الزكاة القادمة [3] .

هذا وقد اختلف الشافعية في إعطاء الفقير عينًا أو نقدًا ، ويمكننا أن نلخص آراءهم في ذلك على أساس التفريق بين أمرين :

الأول : أن يكون الفقير صاحب حرفة ؛ كأن يكون تاجراً مثلاً ؛ أو صاحب صنعة كأن يكون قصابًا ، أو حدادًا أو خياطًا أو غير ذلك فإذا كان كذلك فقد اتفق الشافعية في التخيير بين أمرين :

أ. إن كانت الآلة موجودة أعطاها .

ب. إن لم تكن آلة صناعته موجودة ، أعطي ما يشتري به هذه الآلة ، بغض النظر عن قيمتها ، وإن كان تاجرًا أعطي رأس مال يكفيه ربحه غالبًا [4] .

---

[1] رواه مسلم في صحيحه (٧٢٢/٢ – كتاب الزكاة ، باب من تحل له المسألة ، ح ١٠٤٤) ، أبو داود في سننه (١٦١/٢ – كتاب الزكاة ، باب ما تجوز فيه المسألة ، ح١٦٤٠)، وابن حبان في صحيحه (١٦٨/٥ – كتاب الزكاة ، باب صدقة التطوع ، ح ٣٣٨٧) ، وأبو عبيد في كتاب الأموال (ص ٩٥٦ برقم ١٧٢٢) .

[2] رواه البخاري في صحيحه (٢٠٤٨/٥) ، كتاب النفقات ، باب حبس الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال ، ح ٥٠٤٢ ، ومسلم في صحيحه (١٣٧٨/٣ – ١٣٧٩ – كتاب السير ، باب حكم الفيء ، ح ١٧٥٧) .

[3] راجع : المجموع ١٩٤/٦ ، العزيز شرح الوجيز ٤٠٢/٧ ، إحياء علوم الدين ٢٢٢/١ ، مغني المحتاج ١٠٨/٣ .

[4] راجع : المجموع نفس الصفحة .

www.albasulislami.com

أما إذا كان لا يحسن حرفة ، أو لا يعرف مماكسة في التجارة فهذا خلاف تمخض عنه رأيان :

الأول : يعطى ما يشتري به عقارًا يستغل منه كفايته .

قال صاحب إعانة الطالبين : " وليس المراد بإعطاء من لا يحسن ذلك إعطاء نقد يكفيه تلك المدة لتعذره ، بل ثمن ما يكفيه دخله ، فيشتري له عقارًا أو نحو ماشية إن كان من أهلها من يستغله [1] .

الثاني : وبه قال بعض الشافعية أنه يعطى ما ينفق عينه بما يحقق كفايته ؛ أي يعطى نقدًا فينفقه على حاجياته ومتطلباته .

وهذا الرأي ليس مصرحًا به عند الشافعية ، بل مفهوم كلامهم يوحى به .

قال الرافعي [2] : " ومنهم من يشعر كلامه بأنه يعطى ما ينفق عليه في حاجته [3] .

والرأي الذي نطمئن إليه ، ونميل إلى ترجيحه هو رأي من ذهب إلى أنه لا يعطى الفقير نقدًا ، بل يشترى له بهذا النقد شيئًا يستغله ، فتتحقق من دخله كفايته .

رابعًا : الحنابلة :

اتفق الحنابلة مع المالكية والشافعية في مقدار ما يعطاه كل من الفقير والمسكين من الزكاة ؛ حيث ذهبوا إلى إعطائهما القدر الذي يحقق الكفاية لهما والاستغناء ، ولو جاوز النصاب الشرعي الموجب لإخراج الزكاة [4] .

---

[1] إعانة الطالبين ١٨٩ .

[2] هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي من أهل قزوين ، ومن كبار الفقهاء الشافعية ترجع نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي . توفي سنة ٦٢٣هـ من تصانيفه الشرح الكبير الذي سماه " العزيز شرح الوجيز للغزالي " وقد تورع بعضهم عن إطلاق لفظ العزيز مجرداً على غير كتاب الله فقال " فتح العزيز في شرح الوجيز " و " شرح مسند الشافعي " انظر : طبقات الشافعية ١١٩/٥ ، الأعلام ١٧٥/٤ – ١٧٦.

[3] العزيز شرح الوجيز ٤٠٢/٧ .

[4] راجع : المغني ١٢٩/٤ ، الإقناع ٢٩١/١ ، الكافي ٤٢٤/١ ، الروض المربع ٣٢٥/١ ، شرح الزركشي ٤٥٠/٢ ، كشاف القناع ٢٧٢/٢ ، غاية المنتهي ٣٠٩/١ .

www.albasulislami.com

واستدلوا على ذلك بما جاء عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال : " إذا أعطيتم ، فأغنوا "[1] .

وبما ورد عن عمر – رضي الله عنه – أيضًا أنه كان يقول للسعاة : كرروا عليهم الصدقة ، وإن راح على أحدهم مأة من الإبل "[2] ؛ ولأن الغنى ما يحصل به الكفاية[3] .

وإذا كان ما تقدم هو رأي الحنابلة ، فإنه ليس رأي جميعهم ، بل على الراجح عندهم ، وإلا فمنهم من قال : لا يزداد بالعطاء عن خمسين درهمًا ، أو قيمتها من الذهب وإن لم يكن قدر كفايته ؛ لأن الغنى عندهم يحصل بملك خمسين درهمًا[4] .

واستدلوا على ذلك بما رواه ابن مسعود – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من سأل الناس وله ما يغنيه ، جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش[5] أو خدوش أو كدوح " قيل : يا رسول الله ، وما يغنيه ؟ قال : " خمسون درهماً ، أو قيمتها من الذهب "[6] .

وبناء على هذا إذا كان مع الفقير أو المسكين أقل من خمسين درهمًا أو قيمتها من الذهب فإنه يعطى من الزكاة ما يصل بالدراهم إلى الخمسين ، أي : يكمل لهما تمام الخمسين ، ولا يزاد عليه .

---

[1] أورده أبو عبيد في كتاب الأموال (ص ٦٧٦ رقم ١٧٧٨) .

[2] كتاب الأموال نفس الصفحة رقم ١٧٨٩ .

[3] راجع : شرح منتهى الإرادات ٤١٠/٢ ، غاية المنتهي ٣٠٨/١ .

[4] راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص١٣٢ ، شرح الزركشي ٤٤٤/٢ ، الفروع ٥٨٨/٢ ، المبدع ٤١٥/٢ .

[5] الخموش أى الخدوش وكل أثر من خدش أو عض فهو كدح . انظر : النهاية ١٤/٢، ٨٠ ، ١٥٥/٤ .

[6] رواه الترمذي في سننه (٨١/٢ كتاب الزكاة ، باب ما جاء من تحل له الزكاة ، ح ٦٤٥) ، وأبو داود في سننه (١١٦/٢ كتاب الزكاة ، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى ، ح ١٦٢٦) ، وابن ماجة في سننه (٥٨٩/١ كتاب الزكاة ، باب من سأل عن ظهر غنى ، ح ١٨٤٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٤/٧ كتاب الزكاة) ، وأبو عبيد في كتاب الأموال (ص ٦٥٩ – ٦٦٠ برقم ١٧٣٠) وقال الترمذي : "حديث حسن وقد تكلم شعبة في حكيم بن جبير من أجل هذا الحديث".

www.albasulislami.com

ولكن هل يعطى كل من الفقير والمسكين كفاية سنة أو العمر الغالب ؟

فالمشهور عند الحنابلة هو إعطاؤهما كفاية سنة [١] ؛ ولما كانت الزكاة حولية ، أي : تتكرر بتكرر السنين والأعوام فكفاية العمر تتحقق بكفاية سنة .

قال البهوتي (ت ١٠٥١هـ) موضحًا معنى ما سبق : " ويعطيان أي : الفقير والمسكين – تمام كفايتهما مع كفاية عائلتهما سنة من الزكاة ؛ لأن وجوبها يتكرر بتكرر الحول ، فيعطى ما يكفيه إلى مثله " [٢] .

نستخلص مما سبق ما يلي :

١. نميل إلى ترجيح من قال بإعطاء الفقير والمسكين ما يحقق كفايتهما من الزكاة بغض النظر عن القدر الذي يحقق هذه الكفاية ، وصرف النظر عما اشترطه الحنفية في الإعطاء بألا يزيد على النصاب الشرعي ؛ ويؤيد هذا الرأي ما قاله الخطابي (ت٣٨٨هـ) : " وفيه – أي :في حديث قبيصة – أن الحد الذي ينتهي إليه العطاء في الصدقة هو الكفاية التي يكون بها قوام العيش ، وسداد الخلة ، وذلك يعتبر في كل إنسان بقدر حاله ومعيشته ، ليس فيها حد معلوم يحمل عليه الناس كلهم مع اختلاف أحوالهم " [٣] .

٢. يعطى كل من الفقير والمسكين ما يحقق لهما الكفاية مدة سنة إعمالاً للمشهور عند المالكية ، وما قال به الحنابلة ، والشافعية في قول .

وهذا الذي ذهبنا إلى ترجيحه قال به بعض العلماء المعاصرين ؛ حيث يقول الشيخ عبد الله جار الله : " وما ذهب إليه المالكية والحنابلة من إعطاء الفقير من الزكاة كفاية سنة جميل جداً ، وعادل لموافقته جباية الزكاة ، ومصلحة المحتاجين ؛ لأن وجوب الزكاة يتكرر في كل سنة ، فينبغي أن يأخذ ما يكفيه إلى مثلها " [٤] .

---

[١] راجع : الإقناع ٢٩١/١ ، الروض المربع ٣٢٥/١ ، الفروع ٥٨٩/٢ ، كشاف القناع ٢٧٢/٢ ، شرح منتهى الإرادات ٤١٠/٢ ، غاية المنتهي ٣٠٩/١ .

[٢] شرح منتهى الإرادات ٤٢٤/١ ، وراجع أيضا : شرح الزركشي ٤٥٠/٢ .

[٣] معالم السنن ٦٨/٢ .

[٤] مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية ص٥٢ بتصرف يسير .

www.albasulislami.com

٣. يعطيان – أي الفقير والمسكين – ما يحقق دخلاً عن طريق النماء والاستثمار ، أما أن يعطيا نقدًا ينفقان منه على ما يلزمهما فذلك لا يفيد شيئاً ، ولا يحقق نفعًا ، ولا يغنيهما عن السؤال ، ولا يخرجهما عن دائرة الفقر بعد نفاد ما أعطياه زكاة ، ويظلان تحت أسر الحاجة كل عام ؛ بخلاف ما لو اشتريا لهما شيئاً يقومان باستثماره يحقق لهما دخلاً يكفيهما وعائلتهما ، فإنه يترتب على ذلك تقليل عدد الفقراء كل عام ، ولا يزال بنا الحال حتى يغدوا الجميع مستغنيًا عن السؤال ، بالإضافة إلى ما في ذلك من تنشيط للفقير ، وعدم ألفة للكسل ، حيث يمكنه بعمله ورأس المال الذي دُفع ثمنه من الزكاة تتحقق كفايته كل عام .

ولعل سلوك النبي صلى الله عليه وسلم مع أحد أصحابه دليل واضح على ما قلناه واخترناه ، حيث سأله أحد الصحابة مالاً هو في حاجة إليه ، فلم يُعطه صلى الله عليه وسلم ما سأله ، بل أعطاه قدومًا يحتطب به ، ويكتسب مما احتطب ، ومن عائد كسبه بنفسه يقضي أموره ويحقق شئونه ، فذاك أولى ألف مرة أن تجئ المسألة نكتة في وجهه يوم القيامة كما جاء في الحديث عن رجل من الأنصار [١] .

وأسأل الله عز وجل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يوفقني لما يحبه ويرضاه ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

---

[١] رواه أبو داود في سننه ١٦٢/٢ ب الزكاة : باب ما تجوز فيه المسألة ح ٦٤١) . والحلس : ثياب غليظة تُوضع على ظهر البعير تحت القتب ، شبهها به للزومها ودوامها. انظر : النهاية ٤٢٣/١ . أما في بيتك شيئ ؟ قال : بلى ، حِلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقصب نشرب فيه الماء ، قال: أئتني بهما . فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال من يشتري هذين ، قال رجل أنا آخذهما بدرهم ، قال : من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً ، فقال رجل : أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصاري وقال : اشتر بأحدهما طعاماً وانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به ، فشد رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ثم قال له : اذهب واحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً ، فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضهما طعاماً وببعضهما ثوباً، فقال رسول الله صلى الله علية وسلم : هذا خير لك من أن تجئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة . رواه أبو داود في سننه١٦٢/٢ ب الزكاة : باب ما تجوز فيه المسألة ح ٦٤١) .

www.albasulislami.com

دراسات وأبحاث

علم الطب في وجهة نظر الحديث النبوي

(الحلقة الأولى)

إعداد : د/ يوسف محمد الندوي*

مقدمة :

هذه هي محاولة متواضعة لإبراز الجوانب الطبية من الأحاديث النبوية في ضوء الدراسات الواردة في هذا المجال ، إن للقرآن والحديث دوراً كبيراً في إيقاظ الفكر البشري والوعي الإنساني وفي إنقاذ الأمة من ظلمة الجمود والجهل ومن الاعتقادات الباطلة والظنيات الفاسدة ، حتى أصبح القرآن والحديث سببين لكثير من الاكتشافات العلمية ولتصحيح التصورات العلمية الخاطئة في علم الطب وعلم الفلك وعلم الأحياء وغيرها .

علم الطب :

علم الطب من العلوم الرئيسية المعاصرة وله دور كبير في تنظيم الحياة الصحية وفي صلاح العيشة الراضية الخالصة من الآلام والأسقام وقد اعتنت به الأمة عناية بالغة في طيلة التاريخ ، كان هذا العلم في قديم الزمان محاطاً بالأساطير والخرافات . والرهبان والناسكون هم الذين كانوا رجال علم الصحة والطب في ذلك العصر ، وكان المرضى يلجأون إليهم للاستشفاء فيعالجونهم بالرقى والأعشاب ولكن تطور علم الصحة مع تطور الأمم البشرية وتوسع باتساع العلوم الإنسانية وتنوع بتنوع الأجناس وترعرع بازدهار الحضارات وتعاقب العصور حتى نشأت فيه الفروع والأنواع مثل علم الأجنة (Embryology) وعلم التشريح (Anatomy) وعلم وظائف الأعضاء (Physiology) وعلم النفس (Psychology) وعلم العلاج (Treatment) وعلم الأدوية (Pharmacology) وعلم الأمراض (Pathology) وعلم التمريض (Nursing) والطب الوقائي (Preventive Medicine) وغيرها .

---

* الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، فرع ولاية كيرلا الهندية ، والأستاذ المساعد : كلية دار الأيتام للمسلمين للفنون والآداب ، بويناد .

www.albasulislami.com

مفهوم الطب :

أ. المفهوم اللغوي :

يقول صاحب لسان العرب : الطِّبُّ علاجُ الجسم والنَّفسِ رجل طَبٌّ وطَبِيبٌ عالم بالطِّبِّ ، تقول ما كنتَ طَبيباً ولقد طَبِبْتَ بالكَسر ، وأصل الطب الحذق والمهارة يقال رجل طب وطبيب إذا كان كذلك وإن كان في غير علاج المرض ، قال عنترة :

إن تُغْدِفي دوني القِناعَ فإنَّني طَبٌّ بأخذ الفارسِ المُسْتَلْئِم

وقال علقمة :

فإن تَسْأَلوني بالنساءِ فإنَّني بَصيرٌ بأَدْواءِ النِّساءِ طَبيبُ

وفي الحديث : فلعل طَبّاً أصابَه أي سِحراً وفي حديث آخر إنه مَطْبوبٌ وما ذاك بِطِبِّي أي بدهري وعادتي وشأْني ، وقول فَرْوة بنِ مُسَيْكٍ المُرادِي فى هذا المعنى :

فما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكن مَنايانا ودَوْلةُ آخَرينا

كذاكَ الدهرُ دَوْلَتُه سِجالٌ تَكُرُّ صُروفُه حيناً فحينا

الطِّبُّ مُثَلَّثة الطَّاءِ هُوَ عِلاجُ الجِسْمِ والنَّفس ولكن اقْتَصَرَ على الكَسْرِ في الاستعمال .

ب. المفهوم الاصطلاحي :

وردت فيه تعاريف عديدة ، منها ما يلي :

هو علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان ، من جهة ما يعرض لها من صحة وفساد صحة .

- يقول الطبيب اليوناني الشهير جالينوس : هو علم بأحوال بدن الإنسان يحفظ به الصحة ، ويسترد زائلها .
- يقول الشيخ الرئيس ابن سينا : هو علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة ويستردها زائلة .
- يقول صاحب الموسوعة الطبية : هو علم يبحث عن رعاية الصحة والوقاية والعلاج والأمراض .
- يقول صاحب القاموس الطبي ، دورنالد : الطب هو علم تعيين الأمراض والعلاج ورعاية الصحة ، فعلم الطب ينظر إلى البدن والنفس من حيث عوامل الصحة والبرء من الأمراض والأسقام والعلاج بالأدوية والأغذية .

www.albasulislami.com

علم الطب عبر القرون :

اعتقد كثير من الناس في عصور ما قبل التاريخ أن غضب الآلهة المزعومة أو الأرواح الشريرة هو الذي يسبب المرض كما جاء في الأساطير . وينبغي لشفاء المريض إشباع رغبة الآلهة ، أو طرد الأرواح الشريرة من الجسم ، وإن هذه الاعتقادات الباطلة هي التي خلقت الكهنة الأولين الذين كانوا يعالجون المرض بالسحر في العصور القديمة .

أ. الطب المصري :

وكان أصلَ الطب في مصر القديمة حسب اعتقادهم وحي من هرمس (مستودع الأسرار السحرية) وأن أسباب الأمراض أرواح شريرة تستولي على الأجساد فتمرضها ، وكان طبهم حسب ذلك يعتمد على إخراج العامل المرَضي من الجسم واستخدام التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة منذ حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد شرعه المصريون القدماء ، الذين شيدوا واحدة من الحضارات الأولى العظيمة في العالم في تحقيق تقدم طبي هام . وكان ايمحوتب المصري (Imhotep) الذي عاش منذ حوالي ٢٨٠٠ قبل الميلاد أول طبيب يُعرف بالاسم على مستوى العالم ، وقد عبده المصريون كما جاء في الأساطير بعد ذلك كإله للشفاء اعتقاداً منهم أنه يشفي المرضى .

بدأ الأطباء المصريون منذ عام ٥٠٠ قبل الميلاد في التخصص حيث عالج بعضهم أمراض العيون أو الأسنان فقط ، بينما تخصص آخرون في الأمراض الباطنة . وأصدر الجراحون المصريون أول كتاب يبين كيفية علاج العظام المخلوعة أو المكسورة والخراجات السطحية والأورام والقروح والجروح .

ساهمت حضارات قديمة أخرى في منطقة الشرق الأوسط في التقدم الطبي . فقد ساهم علماؤها مثلاً ، في إحراز تقدم في الطب الوقائي منذ حوالي القرن الثالث عشر إلى القرن السابع قبل الميلاد ، حيث فرضوا عزلاً تاماً للمرضى المصابين بالسيلان والجذام والأمراض المعدية الأخرى ، كما منعوا تلوث مياه الآبار العامة وأكل الخنزير والأطعمة الأخرى ، التي تحمل المرض .

ب. الطب الصيني :

جرب قدماء الصينيين بعض الممارسات الطبية التي انتقلت إلى وقتنا الحاضر بدون تغيير في الغالب . ولقد بني الطب التقليدي على

www.albasulislami.com

الاعتقاد بأن للحياة قوتين ، هما : ين ، ويانج ، تجريان داخل جسم الإنسان ، وينشأ المرض حينما يحدث اختلال في توازن هاتين القوتين . ولاسترداد التوازن ، ابتكر الصينيون ممارسة الوخز بالإبر ، وذلك بوخز إبر في أجزاء من الجسم يُعتقد أنها تسيطر على جريان ين ، ويانج ، وما زال الصينيون يمارسون طريقة الوخز بالإبر حتى الآن . ولقد اكتسبت هذه الطريقة شيئًا من الشعبية في الدول الغربية ، حيث تُستخدم أحياناً في علاج بعض الأمراض .

ت. الطب الهندي :

وفي الهند القديمة ، أصبح نظام من نظم الممارسة الطبية ، يطلق عليه اسم أيورفيدا ، نظاماً معروفاً ، وهو يؤكد على الوقاية من المرض وعلاجه بالأدوية العشبية . خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ، أظهر الممارسون لطريقة أيورفيدا معرفة مثيرة للإعجاب عن الأدوية والجراحة ، ولقد أجرى الجراحون الهنود بنجاح أنواعاً كثيرة من العمليات ، منها عمليات البتر (Cut off Amputate) وجراحة التجميل (Cosmetic Science) .

ث. الطب اليوناني :

بلغت حضارة قدماء اليونانيين ذروتها خلال القرن الخامس قبل الميلاد ، وخلال هذه الحقبة من الزمن ، احتشد المرضى في المعابد مكرسين أنفسهم لإله الشفاء اليوناني أسكليبيوس – كما يزعمون – باحثين عن علاجات سحرية . بيد أنه في الوقت ذاته بدأ الطبيب اليوناني الشهير أبقراط يوضح أن للمرض أسبابًا طبيعية فقط ، ولذلك فإن هذا الطبيب أصبح أول طبيب عرف بأنه اعتبر الطب علمًا وفنًا منفصلاً عن الممارسة الدينية . ويعكس قسَم أبقراط ، وهو تعبير عن الأخلاقيات الطبية القديمة ، المثاليات السامية لأبقراط ، ولكن يحتمل أن يكون هذا القسم قد تألف من عدة مصادر غير أبقراط نفسه ، وتبنى الأخلاقيات الطبية الحديثة على أساس قسم أبقراط لمعرفة نص القسم .

خلال القرن الرابع قبل الميلاد ، هزمت مدينة روما شيئاً فشيئاً معظم العالم المتحضر بما فيه مصر واليونان ، واكتسب معظم الرومانيين معرفتهم الطبية من مصر واليونان ، وكانت إنجازاتهم الطبية في مجال الصحة العامة إلى حد كبير . بنى الرومان قنوات مائية تحمل ١,١ بليون لتر من الماء العذب إلى روما يومياً ، وشيّدوا أيضًا جهازًا ممتازًا

www.albasulislami.com

للصرف الصحي في روما .

قدم الطبيب اليوناني جالينوس الذي مارس الطب في روما إبان القرن الثاني الميلادي أهم الإسهامات في الطب في العصر الروماني ، وأجرى تجارب على الحيوانات ، واستخدم مشاهداته في إبراز أولى النظريات الطبية المؤسسة على التجارب العلمية ، ويعتبر من أجل هذا السبب مؤسسَ الطبِ التجريبي . إلا أنه نظرًا لأن معلوماته في التشريح كانت معتمدة أساساً على تجارب الحيوانات ، فلقد أبدى كثيرًا من ملاحظات مخطئة فيما يتعلق بكيفية عمل جسم الإنسان ، وكتب جالينوس كتباً عديدةً في وصف نظرياته الطبية ، ولقد استرشد الأطباء بهذه النظريات لمئات السنين ، رغم أن كثيرًا منها يشوبه الخطأ من غير متعمد .

ج. الطب العربي :

عرف العرب في الجاهلية طريقتين للعلاج هما الكهانة والعرافة ثم ما خبروه من عقاقير نباتية بالإضافة إلى الكي والحجامة والفصد . وكان من أبرز أطباء تلك الحقبة زهير الحميري وزينب طبيبة بني أود والحارث ابن كلدة .

ومن درس طب القدماء لرأى العجب العجاب مما كان يعتقد أنه طب في كلدان وآشو وبابل استخدموا التنجيم في الطب وكانت الأمراض تُعزى للأرواح الشريرة وكان العلاج بالطلاسم والتعاويذ واخترعوا للطب آلهة سموها " غولا " .

على كل حال كان أكثر الطب قبل نزول القرآن نوعاً من الطب الشعبي الذي يقوم أساساً على عقائد خرافية وتعاويذ من رقى سحرية ترتبط بالكهانة والعرافة والسحر .

مميزات علم الطب :

١. الصحة هي الأولى من كل شيئ للكائن الحي ، حيث لا يتمكن لشيئ ما بدون صحة ؛ إن لعلم الطب دوراً كبيراً في تنظيم الحياة الصحية وفي صلاح العيشة الراضية الخالصة من الآلام والأسقام قد اعتنته الأمة عناية بالغة طيلة التاريخ الطبي .
٢. هو الذي أول ما يتصل بالإنسان حتى أصبح الجنين الإنساني في العصر الراهن ينمو ويتطور في بطن الأم مع ملاحظة رجال علم الصحة والطب وفي رعايتهم فأصبحت الحامل في اليوم تتحرك

www.albasulislami.com

وتتسكن حسب إرشادات الأطباء وفي رعايات المستشفيات حتى تلد الحامل في المستشفى في تربية الممرضات والدكاترة .

٣. أول ما يتناول الطفل المولود الجديد أيضاً من منتوجات علم الطب من قطرات دوائية والحقن . إن هذا النوع من العلوم يتصل بالحياة اتصالاً مباشراً عكساً عن غيره من أنواع العلوم .

الحديث النبوي :

الحديث النبوي هو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية وهو ما قاله سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم وما فعله وما أقرّه قولاً وفعلاً ، يقول الشيخ عبد الحق الدهلوي رحمه الله في تعريف الحديث " اعلم أن الحديث في اصطلاح جمهور المحدثين يطلق على قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ، ومعنى التقرير أنه فعل أحد أو قال شيئاً في حضرته صلى الله عليه وسلم ولم ينكره ولم ينهه عن ذلك بل سكت وقرر ، وكذلك يطلق على قول الصحابي وفعله وتقريره وعلى قول التابعي وفعله وتقريره " [١] والحديث النبوي بيان وتفسير للقرآن الكريم كما يتضح ذلك من الآيتين التاليين :

قال الله تعالى : " وَأنزلنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " . [٢]

قال الله تعالى : " وَمَا أنزلنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لقَوْمٍ يُؤْمِنُون " .

علم الطب والحديث النبوي :

إن الأحاديث النبوية كلها ارشادات قيمة وأسوة حسنة إلى الناس كافة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [٣] وهي هدى للناس في جميع مراحل الحياة والمجالات التي ينطلق بها الإنسان وهي لم تترك صغيرة ولا كبيرة من أمور الدنيا والآخرة إلا أحصاها وبيّنها ، ولا شيئاً مما يحتاج إليه الناس من أمور الدين والدنيا إلا أوضحه مفصلاً أو مجملاً .

---

[١] الشيخ عبد الحق الدهلوي من مقدمة مشكاة المصابيح ، كتب خانه رشيديه المكتبة الرشيدية ، ديوبند .

[٢] سورة النحل : ٤٤ .

[٣] سورة السبأ : ٢٨ .

www.albasulislami.com

أما علم الطب لا يوجد في الحديث النبوي بكل جزئياته ونوعياته كما لا يوجد فيه أي نوع من العلوم بجزئياته ونوعياته لأن الحديث النبوي ليس موضوعه طب أو أي نوع من العلوم يبحث عن كل تعريفاتها واصطلاحاتها وتفاسيرها ولكن يوجد فيه كثير من نواحي العلوم الطبية من الأمراض والأسقام والأدوية والأغذية والعلاج والشفاء ومن الأمور التي تحفظ الصحة وتقيها .

فقد ظهر كثير من الدراسات والبحوث في هذا العصر تبحثان الجوانب الطبية في الكتاب والسنة ، بعض منها دراسات مقارنة بين الطب الحديث ، ولهيئة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة دور كبير في هذا الميدان لأنها أقامت مؤتمرات عديدة حول هذا الموضوع في أماكن مختلفة ، وكذلك يوجد هناك كثير من مواقع الإنترنت في مختلف أنحاء العالم .

الطب في أمهات كتب الحديث النبوي :

قد أصبح علم الطب موضوعاً من المواضيع الحديثية من القديم ، إن الإمام مالك صاحب الموطأ الذي هو أول كتاب في الحديث الصحيح غير المجرد ، لم يستعمل تسمية " الطب " أصلاً ، ولم يُفرد له كتاباً في موطئه مع أنه سمى كتاباً باسم " العين " وذكر فيه الأحاديث عن المعالجة من العين ، والرقية والغسل بالماء من الحمى والطيَرَة ، وأورد أحاديث عن الطاعون في كتاب " الجامع " .

والإمام البخاري وأبو داود وابن ماجة خصصوا باباً مستقلاً في كتبهم سموه " كتاب الطب " وذكروا فيه تلك الأحاديث المتصلة بالمرض والوقاية والعلاج والأدوية ، أما الإمام مسلم حصر كل مفردات ما سمي بالطب النبوي تحت كتاب " السلام " ، وإن كان جعل ضمنه باباً سماه " الطب والمرض والرقى " وإلى جانبه أبواب أخرى عن السم والسحر والرقية والطيرة وغيرها . أما الترمذي فجعل عنوان الكتاب " الطب عن رسول الله " وكذلك الإمام أبو داود وابن ماجة أفردا في سننهما كتاباً خاصاً باسم الطب النبوي .

وسيدور الحديث الباقي حول (موقف العلماء من الطب) .

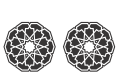

www.albasulislami.com

مساهمة النساء في مجال الشعر العربي

(من العصر الجاهلي إلى ما قبل النهضة الحديثة)

(الحلقة الأولى)

د/ محمد سلمان خان الندوي*

التقديم :

الشعر في الحقيقة من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة . وهي التي تعبر عن جمال الطبيعة بالألفاظ والمعاني . ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام الموزون المقفى . وقد قال ابن خلدون : " الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والرؤى مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به " .[1] والشعر أقدم الآثار الأدبية عهداً لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع ، وعدم احتياجه إلى رقي في العقل ، أو تعمق في العلم ، أو تقدم في المدنية . فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم ، وسجل وقائعهم وسيرهم ، وشاهد صوابهم وخطئهم ، ومادة حوارهم وسمرهم .[2]

قد حفل الشعر العربي منذ بزوغه ، بعلامات تاريخية جمّة عن حياة العرب وحروبهم وعلاقاتهم القبلية والفردية مع جوانب مثيرة عن حياة اجتماعية بسيطة حفها السعي وراء الشهامة والبطولة والفروسية والتميّز في قرض الأشعار . وكان للطبيعة والحيوان مساحات كبيرة في الشعر الجاهلي . فلقد وصف هؤلاء الأفذاذ المطر والسحاب والبرق والأودية والمياه الجارية والجبال الراسيات . كما أبدعوا أيّما إبداع في وصف حيواناتهم البرية والأليفة . وشهدت الحياة العربية نقلة كبرى في تلك الحقب من الزمن . فالانتقال من الحياة البدوية والصحراوية إلى المناطق الخضراء غربي شبه الجزيرة العربية ، وانتشار الدعة والرفاهة كان لهما أبلغ الأثر في ذلك التحول . وكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على أحد الجوانب

---

* الأستاذ المساعد في قسم الحضارة والتمدن العربي جامعة ممتاز لكناؤ ، الهند .

[1] جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٥٨) ، ج ١ ، ص ٥٩

[2] أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي (بيروت) ، الطبعة ٢٤ ، ص ٢٩ – ٣٠ . .

www.albasulislami.com

الأساسية في الحياة العربية ، ألا وهو الشعر . ولكن للقيم المتدنية للشعر العربي في هذه العصور أسباباً . أولاً : أن معظم الشعر الجاهلي لم يتم حفظه وتدوينه . ثانياً : اقتصر اهتمام الأدباء والمؤرخين السابقين على شعر فحول الشعراء . كذلك تعدى هذا الإهمال على شعر المرأة ، الذي لم يعن به تاريخ الأدب ولم تدون شعرهن مذكرات المدّونين لا من الناحية الكمية ولا من ناحية المضمون ! وسوف أتطرق في هذه الدراسة الإحصائية إلى محاولة تقدير النسبة المئوية التي فقدت من الشعر الجاهلي ، على ضوء ما توفر من بيانات إحصائية من شعر الإناث . وسوف يلاحظ من هذه البيانات أن عدد الشاعرات في العصور [1] من الجاهلية إلى ما قبل النهضة في الأدب العربي كثير . فسوف نقترح نبذة عن واحدة منهن في كل عصر من تلك العصور . فنذكر منهن مثلاً الخرنق بنت بدر من العصر الجاهلي والخنساء من العهد الإسلامي وليلى الأخيلية من العصر الأموي وعلية بنت المهدي من العهد العباسي وولادة بنت المستكفى من الشاعرات الأندلسيات ، وعائشة الباعونية من شاعرات عهد الانحطاط .

خدمات / مساهمات النساء في الشعر العربي :

إن المرأة ركن أساسي من أركان المجتمع في مجاله العام والخاص في حاله ومستقبله . فالمرأة هي أداة رئيسية لإعادة الإنتاج القيم والمبادئ الأساسية للمجتمع ؛ سواء من خلال دورها كأم أو من خلال أدوارها العامة كدورها البارز في العملية التعليمية . مثلاً عند ظهور الإسلام كان للمرأة وجود هام في المجتمع ؛ فالسيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) هي أول من آمن بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) على الإطلاق ، وكانت ملاذًا وحصنًا منيعًا للدعوة الإسلامية إلى يوم وفاتها في العام العاشر من البعثة ، وهو العام الذي سماه النبي (صلى الله عليه وسلم) بعام الحزن لحزنه الشديد على فراق زوجته الحبيبة خديجة (رضي الله عنها) . كذلك كانت المرأة أول من ضحّت بنفسها في سبيل الله ؛ فالسيدة سمية

[1] أن عصور الأدب العربي تنقسم إلى خمسة أقسام ، وهي : العصر الجاهلي (٤٧٥ – ٦٢٢م) ، العصر الراشدي والأموي (٦٢٢ – ٧٥٠م/١ – ١٣٢هـ) ويقال له أيضاً العصر الإسلامي ، والعصر العباسي (٧٥٠ – ١٢٥٨م/١٣٢ – ٦٥٦هـ) ، العصر التركي (١٢٥٨ – ١٧٩٨م/٦٥٦ – ١٢١٣هـ) ويقال له أيضاً عصر الانحطاط ، عصر النهضة (١٧٩٨ – ..... م/١٢١٣هـ.....) وفيه أيضاً العصر الحديث ؛ حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ص ٤٦ .

www.albasulislami.com

بنت خياط (رضي الله عنها) هي أول شهيدة في الإسلام . كما كانت المرأة أول من هاجرت في سبيل الله ؛ فالسيدة رقية بنت محمد (صلى الله عليه وسلم) ، هي أول من هاجرت إلى الله تعالى مع زوجها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بعد نبي الله " لوط " (عليه السلام) . وكانت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) مشهورة في مجال رواية الحديث النبوي الشريف فهي من الرواة المكثرين ، وهي في المرتبة الثالثة من حيث الإكثار في الرواية ؛ إذ أنها روت حوالي (٢٢١٠) حديثًا . وقد أخذ عنها العلم حوالي (٢٩٩) من الصحابة والتابعين ، منهم (٦٧) امرأة .[١]

وفي نفس السياق ساهمت المرأة العاملة بأناملها الرقيقة في صناعة وتشكيل كثير من كبار العلماء ؛ فمن الفقيهات المحدثات " طاهرة بنت أحمد بن يوسف التنوخية " المتوفاة (٤٣٦هـ) . وكانت " أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل " المتوفاة (٣٧٧هـ) من أفقه الناس في المذهب الشافعي . وكانت " زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني " المتوفاة سنة (٦٨٨هـ) من النساء اللاتي قضين عمرهن كله في طلب الحديث والرواية ، وازدحم الطلاب على باب بيتها في سفح جبل قاسيون بدمشق ، فسمعوا منها الحديث ، وقرؤوا عليها كثيرًا من الكتب .[٢]

ولم تقتصر مآثر المرأة المسلمة على الإيمان والهجرة والتضحية فقط ، بل امتدت مأثرتهن إلى المجال العلمي والتعليمي ، وكانت للمرأة مآثر بارزة في العلوم والتعليم والأدب العربي . فصنفن الكتب في مواضيع مختلفة وكانت منهن فقيهات وفي الأمور الخاصة والعامة ، وأخذ عنهن كثير من العلماء والفقهاء الشيئ الكثير من العلوم والفنون عن العالمات المسلمات اللواتي اشتهرن بالمجالس والمكتبات في المساجد المختلفة ، فكان الطلاب يشدون إليهن الرحال حيث وجدن من الأقطار المختلفة البعيدة ، وعُلم عن بعض الفقيهات والمحدثات المسلمات أنهن أكثرن من الرحلة في طلب العلم إلى عدد من المراكز العلمية في مصر والشام والحجاز حتى صرن راسخات القدم في العلم والرواية . ولم تكن المرأة حبيسة منزل أو حجرة ، أو أسيرة في مهنة معينة ، بل كان المجال مفتوحًا أمامها ومن ذلك ترحالها من أجل طلب العلم .

[١] الحركة العلمية النسائية تراث غابت شمسه Internet, www.ghrib.net/vb/showthread.php?p=93517,

[٢] المصدر السابق .

www.albasulislami.com

ودور المرأة في العملية الإبداعية في الأدب العربي سواء كان ذلك في الشعر أو في النثر مذكور في التاريخ ، حيث نقلت لنا بعض أخبار المجالس التي كان يرتادها الرجال والنساء ، والتي كانت فيها المرأة تبرز ملكتها الشعرية وتنميها بالمساجلات . وتعترف صاحبة الدراسة بأن الآثار الأدبية المتعلقة بالمرأة التي وصلت إلينا ، قليلة ومتناثرة في صفحات الكتب ، والأصول التي أُلفت عن المرأة نفسها لا تزال مجهولة .

وكانت لأكثرهن في العصر الجاهلي قصيدة واحدة أو أقل من ثلاث قصائد إذا ما قورنت بمتوسطات الرجال الشعراء . ويظهر ذلك من الجدول التالي : [1]

عدد القصائد	عدد الشعراء		النسبة المئوية	
	أناث	ذكور	أناث	ذكور
١	٨٥	٢٥٤	٦٥٪	٦٠٪
٢	٢٢	٦٥	١٧٪	١٥٪
٣	٣	١١	٢٪	٣٪
٤	١	١٠	١٪	٢٪
٥	٣	٥٩	٣٪	١٤٪
أكثر من ٥	١٣٠	٤٤٢	١٠٠٪	١٠٠٪
المجموع				

في هذا الجدول ٨٥ شاعرة كتبن قصيدةً واحدةً فقط و ٢٢ قصيدتين . . . إلخ . أو يمكن القول بأن ٩٤٪ من الشاعرات وردت منهن ثلاث قصائد أو أقل . كذلك في الرجال ٨١٪ من الشعراء وردت لهم ثلاث قصائد أو أقل .

ومن أكبر الأدلة على رقي العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم . فقد كان للمرأة عندهم رأي وإرادة ، وكانت المرأة صاحبة أنفة ورفعة وحزم . ولم يكن الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى يومنا هذا موقوفاً على الرجال دون النساء . كان لهن شأن في الشعر والأدب وسائر العلوم . فهناك نساء كثيرات ممن تفوقن على البعض من شعراء ذاك العصر . أما بالنسبة إلى الشاعرات ، فجاءت صفية بنت ثعلبة الشيبانية الحجيجة بـ ١٨ قصيدة و ٥٢ بيتاً ، والثانية الخرنق بنت بدر (ت ٥٢ ق. هـ./٥٧٠م) أخت طرفة بن

[1] إبراهيم عبد العزيز عثمان ، " المعالم الإحصائية للشعر العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي " ، مجلة أفق الثقافة ، معهد التنمية الإدارية ، الدوحة ، ٦ يونيو ٢٠٠٥ .

www.albasulislami.com

العبد لأمه بـ ١٥ قصيدة و ٦٥ بيتاً ، ثم أم الضحاك المحاربية بـ ١٠ قصائد و ٢٥ بيتاً . وجميعهن من الأسماء المغمورة في العصر الجاهلي ![1]

أما أفضل النساء في هذا العصر والتي اشتهرت فيما بعد ، هي آمنة بنت وهب – أم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وقد وردت لها قصيدة بست أبيات في ابنها الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) ، تقول في مستهلها : [2]

بارك الله فيك من غلام يا ابن الذي في حومة الحمام

وكذلك بنات عبد المطلب بن هاشم الست ، عمّات الرسول : صفية ٤ قصائد ، عاتكة وأروى وأم حكيم بقصيدتين لكل واحدة منهن . أما أميمة وبرة فقصيدة واحدة لكل منهما .

ومنهن تماضر بنت عمرو بن الحارس بن الشريد الرياحية (شاعرة الرثاء الأولى) ، الملقبة بالخنساء ، والتي أدركت الإسلام وأسلمت ولم يستطع شاعر جاهلي مجاراتها في مضمار الرثاء . لها ٩٨ قصيدة و ٩١٨ بيتاً من الشعر الراقي الأصيل . واشتهرت في هذا العصر ليلى بنت لكيز بن مرة (ت ٤٨٣م) التي عرفت باسم ليلى العفيفة .

وغير ذلك من أسماء كثيرة من النساء اللاتي لهن مساهمة هامة في الأدب العربي في هذا العصر ؛ منهن أمينة بنت عيينة ، وأميمة العشمية ، وأميمة بنت عميلة ، وكبشة – أخت عمرو بن معدي كرب وبرة بنت عبد المطلب – عمة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، والبسوس ، وجليلة بنت مرة بن ذهل (ت ٨٠ ق . هـ./٥٤٠م) – من بني شيبان وامرأة كليب الفارس المشهور ، وميسة بنت جابر – امرأة حارث بن بدر ، وجندوب – زوجة امرئ القيس ، وجنوب الهذلية ، وحذام بنت الريان ، والحمراء بنت ضمرة ، وخالدة بنت هاشم بن عبد مناف ، ودختنوس بنت لقيط ، وسبيعة بنت الأحب ، وسبيعة بنت عبد شمس ، وسعدى بنت الشمردل الجهنية ، وسعدى بنت كرير ، وسلمى بنت كعب ، وسلمى بنت ربيعة ، والشموس ، وصفيعة بنت ثعلبة الحجيجة ، وأم الضحاك ، وفاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية ، وفاطمة بنت مرة – معاصرة لعبد الله ابن عبد المطلب وقيل : عرضت عليه نفسها للزواج قبل أن يتزوج بآمنة ، وليلى بنت لكيز بن مرة وعرفت باسم ليلى العفيفة (ت ٤٨٣م) – من

[1] المصدر السابق .
[2] المصدر السابق .

www.albasulislami.com

ربيعة من أقدم الشعراء ، ومنفوسة بنت زيد الفوارس ، ومية بنت ضرار ، وهزيلة بنت مازن ، وهند بنت معبد ، وهند بنت النعمان ، والورثة بنت ثعلبة و غيرهم .[1]

ومن المخضرمين كان هناك شاعرات كثيرات ممن كان لهن دور هام في الشعر العربي ، ومن أشهرهن الخنساء التي ذكر اسمها في السابق ، وأميمة بنت عبد شمس – أخت أبي سفيان ، وحرقة بنت النعمان ، والخنساء بنت أبي سلمى – أخت زهير بن أبي سلمى وهو واحد من أصحاب المعلقات ، وعمات النبي صلى الله عليه وسلم – درة بنت أبي لهب (٢٠هـ/٦٤٠م) ورقية بنت عبد المطلب وصفية بنت عبد المطلب (٢٠هـ/٦٤١م) – وصفية بنت مسافر ، وعمرة بنت مرداس (٤٨هـ/ ٦٦٨م) بنت الشاعرة الشهيرة الخنساء ، وفاطمة الخزاعة ، وقتيلة بنت الحرث بن النصر (٢٠هـ/٦٤٠م) ، كبشة (٢٠هـ/٦٤٠م) أخت عمرو بن معديكرب ، وليلى بنت النضر – أنشد النبي صلى الله عليه وسلم شعرها في مقتل أبيها وقال : لو كنت سمعت شعرها ما قتلته ، هند بنت أثاثة (١٠هـ/٦٣١م) ، وهند بنت عتبة (١٤هـ/٦٣٥م) بـ ١٤ قصيدة ، وهي أم معاوية بن أبي سفيان ، وهند بنت النعمان بن المنذر بـ ١٠ قصائد ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق (ذات النطاقين) بثلاث قصائد .

أما في صدر الإسلام فظهرت أديبات راقيات ؛ وكان لهن مآثر مميزة . وكانت أمهات المؤمنين وعدد من كبار الصحابيات من رواد الحركة العلمية النسائية . وكانت حجراتهن منارات للإشعاع العلمي والثقافي والأدبي ، فكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (رضي الله تعالى عنه) من الفصيحات البليغات العالمات بالأنساب والأشعار ، وهي تحفظ جميع شعر لبيد ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يستمع منها إلى بعض ما ترويه من الشعر . جاءت فاطمة الزهراء بنت رسول الله [2] (صلى الله عليه وسلم) في المقدمة بـ ١٦ قصيدة و ٦٦ بيتاً ، تليها عاتكة بنت زيد

[1] جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ١ ، ص ٣٩ – ٤٠ ، د . يحيى شامي ، موسوعة شعراء العرب (بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٩٩) ، الطبعة الأولى ، ج ١ .

[2] من شعر فاطمة الزهراء وهي ترثي والدها رسول الله صلى الله عليه وسلم

تذكرت لما فرّق الموت بيننا فعزيت نفسي بالنبي محمد

فقلت لها أن الممات سبيلناومن لم يمت في يومه مات في غد ؛

إبراهيم عبد العزيز عثمان ، " المعالم الإحصائية للشعر العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي " ، مجلة أفق الثقافة ، معهد التنمية الإدارية ، الدوحة ، ٦ يونيو ٢٠٠٥ .

www.albasulislami.com

بـ ٧ قصائد و ٢٧ بيتاً . ومن شهيرات النساء ، المرأة الجليلة حفصة بنت عمر بن الخطاب والرباب بنت امرئ القيس (زوجة الحسين بن علي رضي الله عنه) ، وكل واحدة منهن كتبت قصيدة واحدة فقط . وكذلك بعض من الشاعرات لهن قصائد في العربي ؛ منهن أسماء بنت أبي بكر ، وبنت أبي مسافع – قتله النبي صلى الله عليه وسلم في أحد المواقف لشدة عداوته ، وجويرية ، وعاتكة بنت زيد (٤٠هـ/٦٦٠م) ، وعمرة بنت دريد ، ونائلة بنت القراصفة الكلبية وزوجة عثمان بن عفان (رضي الله تعالى عنه) ، ونعم – امرأة شماس بن عثمان ، ووجيهة بنت أوس .

أما في العصر الأموي فقد لمعت شاعرات عديدات يذكر منهن ليلى الأخيلية (ت ٨٥هـ/٧٠٥م) ، وسكينة بنت الحسين بن علي (٤٧ – ١١٧هـ) ، التي عرفت يومذاك بمواقفها الأدبية وجرأتها النادرة . ووصف المستشرق الفرنسي (بيرون) الشاعرة سكينة بأنها " سيدة عصرها وأجملهن وأظرفهن وأسماهن صفات وأخلاقاً " ، وكان يجتمع الشعراء إليها فتحادثهم وتنتقدهم . واشتهرت كذلك عائشة بنت طلحة في الشعر والنقد – كانت لها مجالس أدب وشعر ، وعمرة – امرأة أبى دهبل الشاعر، ورابعة العدوية التي امتازت بتصوفها وزهدها وكان محور شعرها الحب الصوفي الإلهي ، وجزلة التي كانت يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر قبل أن يتزوج ، ومن هناك عرفها وتزوجها .[1] وغير ذلك من الشاعرات اللواتي اشتهرن في هذا العصر منهن : أخت الجهضمية ، وأخت عمرو بن سعيد ، وزينب بنت الطثرية المعروفة بأخت يزيد بن الطثرية ، وبنت بهدل ، وبنت حجر بن عدي الكندية ، وبنت عقيل بن أبي طالب ، وبنت القتال الكلابي ، والدهناء بنت مسحل ، وعائشة بنت عثمان ابن عفان ، عاتكة بنت عبد الرحمن – زوجة عبد الله بن عمر ، والفريعة بنت همام ، وكنزة (١٠٠هـ/٧١٨م) ، وميسون بنت بحدل .

أما في العصر العباسي فاشتهرت عليّة بنت الخليفة المهدي ، وهي أخت الخليفة هارون الرشيد ، وامتازت عن رفيقاتها بذكائها المتقد وصوتها الحسن ومعرفتها بالموسيقى . ومن الشاعرات لهذا العصر تقية الصورية (٥٠٥ – ٥٧٩هـ/١١١١ – ١١٨٣م) ، والذلفاء بنت الأبيض ، وريحانة ، وزبيدة بنت جعفر (٢١٦هـ/٨٣١م) زوجة هارون الرشيد ،

[1] جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ١ ، ص ٤٠ ؛ د . يحيى شامي ، موسوعة شعراء العرب ، الطبعة الأولى ، ج ١ .

www.albasulislami.com

وسعدى بنت الشمردل ، العباسة بنت الرشيد – زوجة جعفر البرمكي ، ولبابة بنت ريطة – زوجة الأمين ، ورابعة العدوية (ت بين ٧٩٦ – ٨٠١م) ، وفضل الشاعرة أو فضل العبدية (ت ٨٧٤/٢٦٠م) ، والفارعة بنت طريف الشيبانية ووالهة المخزومية وعنان الناطفية .[١]

ومن الشاعرات الأندلسية اشتهرت الشاعرة ولاّدة بنت المستكفي (ت ٤٩١هـ/١٠٩١م) التي كانت تناقش الشعراء والأدباء في مجالسهم بصراحة وجرأة ، وعائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم التي عرفت عهد ذاك بعائشة القرطبية (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩ – ١٠١٠م) ، ومريم بنت أبي يعقوب الفصولي الشلبية الأنصارية (٤٠٠هـ/١٠١٠م) ، ونزهون بنت القلاعي الغرناطية (ت ١١٦٥/٥٦٠م) ، وأم العلاء بنت يوسف الملقبة بالحجّارية البربرية ، وأم مكرم بنت المعتصم ، وأم العزيز ، وبثينة بنت المعتمد – الشاعر وسلطان إشبيلية ، وحسّانة بنت أبي المخش التميميّة (ت ٨٤٤/٢٣٠ – ٨٤٥م) ، وحفصة بنت الحاج الركونية (ت٥٨٦هـ) ، وحمدة بنت زياد المؤدب الملقبة بخنساء المغرب في غرناطة ، وحفصة بنت حمدون الحجارية (ت العاشر الميلادي) ، وزينب المرية ، وقمسونة بنت إسماعيل اليهودي ، والغسّانية البجانية ، ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري ، ومهرية بنت الحسن بن غلبون التميمي (ت ٢٩٥هـ/٩٠٨م) ومهجة بنت التياني القرطبية (ت ٤٨٥هـ/١٠٩١م) – صاحبة ولادة بنت المستكفي ، وكلهن نساء برعن في نظم الشعر .[٢]

وفي عهد الانحطاط وجد بعض الشاعرات في الأدب العربي ، وهن : عائشة بنت يوسف الباعونية (ت ٩٢٢هـ) ، وزينب بنت محمد (ت ٩٨٠هـ) ، وسارة بنت أحمد بن عثمان الحلبية (ت ٧٠٠هـ/١٣٠٠م) .[٣]

(للحديث بقية)

[١] د . يحيى شامي ، موسوعة شعراء العرب ، الطبعة الأولى ، ج ٢ ؛ الدكتور محمد صالح الشناطي ، في الأدب العربي القديم (حائل : دار الأندلس للنشر وللتوزيع ، ١٩٩٧) ، ج ٢ ، ط ٢ ، ص ٣٧ .

[٢] د . يحيى شامي ، موسوعة شعراء العرب ، ج ٢ .

[٣] المصدر السابق .

www.albasulislami.com

الجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم

ديوان شعري من الهند نال إعجاب العرب

الأخ هيثم حسن الهدوي*

منذ أن أشرقت بلاد الهند بنور الإسلام قد أنجبت علماء نحارير تضلعوا من شتى العلوم والفنون ووقفوا حياتهم في سبيل نشر العلوم الإسلامية ، فقد اعتنوا باللغة العربية حق الاعتناء حتى ألفوا فيها كتبا طار صيتها في العالم كما نظموا فيها أشعارا تباري أشعار العرب في أسلوبها ومعانيها ، ومنهم الأستاذ عبد الرحمن بن أحمد الأريكلي المليباري أحد أبرز شعراء كيرالا في القرن العشرين الميلادي ، كان يتمتع بملكة إبداعية وقريحة شعرية منذ صغر سنه ، من أبرز أعماله الشعرية ديوان " الجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم " وكما يشير عنوانه أنه قد نظمه في المديح النبوي ، أحد الأغراض الرئيسة التي تناولها شعراء الهند ، ومما يزيد هذه القصيدة فخرا وشرفا أنه قد تم طبعها لأول مرة من بلاد العرب حسب توجيه من أحد وزراء الإمارات ، وذلك إعجابا منه بهذه القصيدة الرائعة .

الشاعر الأريكلي مولده ونشأته :

هو الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الشافعي المليباري المشهور بـ عبد الرحمن مسليار الأريكلي ، والأريكلي نسبة إلى أريكل اسم أسرته ، وولد الشاعر باليوم الخامس عشر من جمادى الأولى عام ١٣٥٧هـ الموافق لليوم الثالث عشر من يوليو سنة ١٩٣٨م في قرية مويفوت بمقاطعة كاليكوت من ولاية كيرالا بدولة الهند ، وكان والده أحمد مسليار عالما متبحرا وشاعرا موهوبا [١] ، ووالدته بي فاطمة بنت الشيخ الفقيه عبد الله الكيفرمي أحد أجل المشايخ في عصره .

---

* باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية – حيدر آباد .

[١] له مؤلفات كثيرة في اللغة العربية ، من أبرزها الشمائل المحمدية ، والدر المنظم في مناقب الغوث الأعظم ، والدرة النفيسة في مناقب السيدة النفيسة ، ومنحة القوي في مدحة السيد – – علوي ، ونظم قرة العين بمهمات الدين ، ومن المؤسف جداً أن معظم هذه المؤلفات لم يطبع حتى الآن .

www.albasulislami.com

تلقى الشاعر مبادئ العلوم من والده أحمد مسليار ، ثم التحق بالدروس المساجدية التي عقدها العلماء الفطاحل في ذلك العصر [1] ، فارتحل من مسجد إلى مسجد ومن شيخ إلى شيخ حتى حصل على العلوم الإسلامية وتبحر فيها ، ومن أبرز مشايخه الأستاذ ميبلاتشيري مسليار ، والأستاذ شيرازي مسليار ، والأستاذ فدنجاريل مسليار ، والأستاذ كنج عبد الله مسليار المعروف بـ كيزنا .

وبعد أن أكمل الشاعر دراسته اشتغل بالتدريس في مختلف المساجد في كيرالا ، ثم عيّن أستاذاً في الكلية الرحمانية العربية بكاداميري ، إحدى المعاهد الدينية القديمة في كيرالا ، ولقد ارتبطت هذه الكلية بروح الشاعر الأريكلي ارتباطاً وطيداً حيث اشتغل فيها مدرّساً لمدة زهاء ثلاثة عقود (من سنة ١٩٧٨م إلى أواخر أيامه) ، وأيضاً عين الشاعر قاضياً إسلامياً في عدة محلات مسلمة ، وهكذا كان الشاعر يشتغل بالعلم إفادة واستفادة ، تدريساً وإفتاءً ، حتى توفي ليلة الرابع عشر من شعبان سنة ١٤٢٦هـ الموافق للثامن عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠٥م ، ودفن بالمقبرة حول المسجد الجامع بمويفوت ، وحضر تشييع جنازته جمع غفير من العلماء والصالحين ، غفر الله له ورحمه وأسكنه بواسع جنانه ، آمين .

الجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم :

ويلمع اسم الأريكلي من بين سائر شعراء كيرالا لتفوقه في واحد من أبرز أغراضه الشعرية وهو المديح النبوي ، وهذا اللون الشعري ، كما يفصله الأستاذ جميل حمداوي ، هو " ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي صلي الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخلقية والخلقية وإظهار الشوق

[1] كان من عادة الشعب المليباري في العصور الماضية أن يرسل أبناءه إلى الدروس المساجدية ، فكانت هي الوسيلة المهمة لتعليم الدين واللغة العربية في ديار مليبار ، فالتلاميذ يقطنون في المساجد ويجلسون حول المدرّس – وكذا سمّوا من يشتغل بالتدريس والتعليم في المسجد – ويتعلمون من عنده العلوم الشرعية واللغوية ، وهذا المدرس الواحد يقسم أوقاته لتدريس مختلف الفنون والعلوم ، وبعد أن أكمل الدراسة في مسجد يرتحل التلاميذ إلى مسجد آخر ويمكث هناك ليتعلموا من مدرّسه ، وقد لعبت هذه الدروس المساجدية دوراً بارزاً في نشر العلم الديني والوعي الإسلامي في الجماهير المسلمة والعوام والسوقة الذين لم يكونوا على إلمام كبير بأحكام الشريعة الإسلامية ، ثم تعرض هذا النظام التقليدي لعدة تغيرات في مختلف العصور ، حتى قل من يعتمدها للتعليم الديني واللغوي ، والآن يلتحق التلاميذ بالكليات العربية والجامعات الإسلامية في داخل كيرالا وخارجها .

www.albasulislami.com

لرؤيته والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ، ونظم سيرته شعراً ، والإشادة بغزواته وصفاته المثلى ، والصلاة عليه تقديراً وتعظيماً " [1] ، وهذا اللون من الشعر الديني قد اتسع اتساعاً كبيراً ، اشتغل به الشعراء يتبارون في نظمه ويذهبون به كل مذهب ، حتى تفرع منه ألوان أخرى مثل المولديات والبديعيات [2] .

والأريكلي نظم قصيدةً طويلةً في هذا الغرض ، وعنوانها " الجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم " ، وهي تشتمل على ست مأة وسبعة أبيات ، وتعتبر من أهم أعماله الشعرية ، ويقول الشاعر عن تأليفها ، " كنت ابتدأت نظمها في مطلع هذا القرن الخامس عشر الهجري بمناسبة ذكراه ، ثم بدا لي توشيحها بذكر أحواله صلى الله عليه وسلم مع قومه بعد النبوة وما قاساه من الشدائد في تقديم دعوته وغير ذلك ، حتى بلغت أبيات القصيدة زهاء ست مأة بيت ، فجاءت بحمد الله تعالى جامعة لغرر الفوائد ، خالية عن الواهيات والزوائد ، رائعة الألفاظ والمعاني ، قريبة المآخذ والمجاني ، فلله الحمد والشكر الجزيل وهو حسبنا ونعم الوكيل " [3] .

واستخدم فيها الشاعر البحر الطويل ، أما حرف رويها فهو الميم المكسورة كما في بردة الإمام البوصيرى رحمه الله ، ولم تكن وحدة الوزن والقافية سداً يحول دون نظم هذه القصيدة الطويلة ، والشاعر قد تمسك بذلك طول القصيدة ، وهذا يدل على عبقريته الشعرية .

وقد تم طبع هذه القصيدة في حياة الشاعر من بلاد العرب ، أولاً طبعتها لجنة التراث العربي بقطر بتوجيه من الشيخ الخزرجي وزير الأوقاف سابقاً بالإمارات العربية المتحدة ، وذلك أن الشاعر قام بإملاء هذه القصيدة في جلسة حضرها الوزير وأعيانه ، فأعجب بها الخزرجي ورغب في طبعها وتحمل التكاليف في سبيل ذلك ، وطبعت القصيدة لمرة

[1] حمداوي ، جميل ، شعر المديح النبوي في الأدب العربي ، منشورات المكتبة العصرية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧م ، ص ١ .

[2] المولديات هي فن شعري يرتبط بالاحتفالات المنعقدة بمناسبة المولد النبوي ، وهي محددة بموضوع مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، أما البديعيات فهي أيضاً قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن شروطها أن تنظم على وزن البحر البسيط وعلى روي الميم ، وأن يشتمل كل بيت من أبياتها على لون من ألوان البديع .

[3] الأريكلي ، عبد الرحمن محمد أحمد الأريكلي ، الجوهر المنظم في سيرة النبي المكرم ، مطابع الدوحة الحديثة – قطر ، الطبعة الثانية ، ص ٥ .

www.albasulislami.com

ثانية مع بعض الإضافة من مطابع الدوحة الحديثة في دولة قطر على نفقة علي بن سعيد الكعبي القطري ، ثم نشرتها دار البشائر الإسلامية ببيروت في طبعته الأولى عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ودار الفكر ببيروت عام ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ، فكفى لهذه القصيدة شرفاً ما نالت من القبول والاعتناء في العالم العربي .

وقد قام الشيخ العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي بتقريظ هذا الديوان وصاحبه ، ونشر هذا التقريظ في بداية الديوان ، فيقول فيه الأستاذ الندوي ، " وقد اطلعت على الديوان وتصفحت صفحاته وأبياته الشعرية ، فإذا هو ديوان شعر عربي يشير إلى أن صاحبه يتمتع بوجدان شعري جيد ، وذوق أدبي رفيع ، وقد أعجبت بأبيات من قصيدته الطويلة حيث إنها مصوغة في قالب الشعر العربي الخالص ، وعلى غرار شعراء العربية الذين لا يفارقهم روح الموضوعية والهدف الأسمى في رحلتهم الشعرية في أي حال " [١] ، وكذا يقوم الأستاذ العلامة سعيد الأعظمي الندوي بتقريظه ، فيقول ، " وهذا الديوان الذي بين أيدينا هو خير شاهد على عبقريته ورسوخ قدميه في فن الشعر العربي ، وأرجو أن يكون هذا الديوان ذا نفع ملموس في جميع أوساط العلم والأدب في الهند كلها " [٢] .

دراسة وصفية للقصيدة وبنائها :

ويبدأ الشاعر قصيدته بالثناء والحمد على الله تبارك وتعالى وبالصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ، فالشاعر يمدح ربه خاصة لنعمتين كبيرتين وهما إرشاده إلى الصراط المستقيم وإرسال خير الخلق إلى البشرية ، فيقول [٣] :

لرب الورى الحمد الموافي لأنعم ... توالى علينا منه دون تصرّم
هدانا إلى الإسلام أكرمنا به ... فصرنا به أصحاب خير ومكرم
ومنّ علينا مرسلا خير خلقه ... رسولاً إلينا هادي النهج الأقوم
عليه صلاة الله ثم سلامه ... مع الآل والصحب الأولى هم كأنجم

ثم يخاطب الشاعر رجلاً خيالياً ، وهو رمز يستخلف المجتمع الحديث الذي يخبط خبط عشواء في الضلال والغي ولا يعتني بالسيرة النبوية ، ويدعوه الشاعر للاغتراف من سيرة شخصية النبي الكريم صلى

[١] الأريكلي ، عبد الرحمن محمد أحمد الأريكلي ، الأريكليات ، إدارة النشر ، البهجة ، الكلية الرحمانية العربية – كادميري ، ٢٠٠٨م ، ص ١٤ .
[٢] المصدر السابق ، ص ١٢ .
[٣] المصدر السابق ، ص ١٨ .

www.albasulislami.com

الله عليه وسلم التي هي معين يعطي كلاً بقدر سعة إنائه ، قائلاً [1] :

أيا قاطِعَ البيدِ المجاهيلِ راكِبَ الـ ... تَعاسيفِ في الظلماء قِفْ قِفْ وَرَوِّمِ
وعـرِّجْ علينا في اصطَبار سُوَيْعَةً ... نذاكِرْ بهدي المصطفى بتفهُّمِ

وهكذا يتخلص الشاعر إلى موضوعه وهو مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بإلقاء الضوء على سيرته العطرة ، وقد أجاد الشاعر حسن التخلص هنا ، ثم تدور القصيدة حول حياة النبي صلى الله عليه وسلم من بدء الوحي إلى الهجرة ، وتتمثل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة الموضوع المهم في هذه القصيدة ، ويبدو أنه ليس هناك شاعر في كيرالا يهتم هذا الاهتمام بالهجرة النبوية في شعره ، ومن المعلوم أن الهجرة النبوية كانت ولا تزال حدثاً حياً متجدداً في نفس كل مسلم ، لأنها كانت في الحقيقة ولادة أمة جديدة ، وبداية حضارة حديثة مدت ظلالها على آفاق الأرض [2] ، فيقول الشاعر [3] :

يجدد ذكرى هجرة المصطفى التي ... بها كان للإسلام أوفى تقدم
بها الله آوى عبده ورسوله ... إلى حرزه المحفوظ والمأمن الحمي
بها فرق الرحمان بين عباده ... وأعداءه من كل باغ ومجرم
وقصتها معروفة عند كل من ... تتبع هدي المصطفى للتعلم
أريد بتوفيق الإله إفادة ... لزبدتها في ذا القصيد المنظم
أقول وبالله اعتضادي مقدماً ... حوادث كانت تلو مبعثه السمي

وقد اهتم الشاعر اهتماماً بالغاً بتصوير الهجرة النبوية ، ووصف أحداثها ، وما صاحبها من مشقات وصعوبات ، مستوعباً لمناظرها الخارجية من أول اجتماع المشركين في دار الندوة لاتخاذ قرار في شأن النبي صلى الله عليه وسلم وحتى دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ولعل الدافع وراء هذا التصوير المتصف بالشمول هو التعزي بتلك الأمجاد ، والتذكير بها ، وتفعيل دورها أملاً في تخطي الأزمة التي يعيشها المجتمع الإسلامي في هذه الأيام ، ومن أهم الحوادث التي يشير إليها الشاعر ما يلي :

١. نزول جبريل عليه السلام بوحي من الله يأمره بالهجرة إلى المدينة .
٢. وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه عن أمر الله بالهجرة .

[1] المصدر السابق ، ص ١٨ .
[2] أبو الفارس ، محمد عبد القادر ، الهجرة النبوية ، دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ .
[3] الأريكلي ، الشيخ عبد الرحمن محمد أحمد ، ديوان الأريكليات ، ص ١٩ .

www.albasulislami.com

٣. ومؤامرة قريش في دار الندوة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة .
٤. وحصار قريش لبيته صلى الله عليه وسلم من كل جانب .
٥. واستعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم للهجرة وتوكيل علي رضي الله عنه لأداء الأمانات إلى أهلها .
٦. وخروج النبي صلى الله عليه وسلم من البيت بعد جعل علي رضي الله عنه في فراشه ونثر التراب على وجوه قريش .
٧. ومعجزاته صلى الله عليه وسلم في غار حراء .
٨. وحادثة أم معبد .
٩. وحادثة سراقة بن مالك .
١٠. وفرحة المدينة بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم واستقبال أهلها له .

ويختتم الأريكلي متحدثاً عن قصيدته ، وهي ظاهرة توجد عند المشاهير من الشعراء مثل أبي تمام وعنترة ، ويقول الأريكلي عن قصيدته [١] :

حبست جواد القول عن سيل سيره لما بعد هذا فوق طول المنظم
فهاك كتابا فيه هدي النبي من نبوّته حتى المدينة والْزَمِ
أخذت من الكتب الصحيحة أصله وأخرجته نظما قريب التفهم
وبَالغْتُ في تسهيل ألفاظه وقد ترى فيه ما تحتاج فيه لمعجم

كما يتحدث الشاعر عن تقصيره لمدح النبي بما يليق به [٢] :

وسبك كلام المصطفى في القصيد لا يتم لعربي فكيف لأعجمي
على أنني من قاصري الفهم والذكا ومن خامدي الأذهان من قلة الدم
فعذري في بعض التقاصير ظاهر لكل ومقبول لدى كل صيرم

ويختم الشاعر هذه القصيدة بالحمد والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه والتابعين وأهل الخير كلهم ، كما أصبح ذلك تقليداً لدى كثير من شعراء المديح النبوي ، ثم يدعو الشاعر لنفسه ولعائلته ولذويه ، وذلك بأدعية مأثورة قد جعلها في القالب الشعري ، ويقول في آخر القصيدة [٣] :

إلى وجهك اللهم كف ضراعتي مددت فلا تقطع رجائي وتحرم
فمن لي إذا خيبتني رب فاستجب دعائي وبالخيرات يا رب تمم

[١] المصدر السابق ، ص ٨٠ .
[٢] المصدر السابق ، ص ٨١ .
[٣] - المصدر السابق ، ص ٨٥

www.albasulislami.com

شخصية الشيخ عبدالله بن محمد العمادي
في إطار المآثر والإنجازات
(١٢٩٥هـ ١٣٦٦هـ)

د . سعيد بن مخاشن*

إن من أبرز العلماء اليمنيين الذين بزغوا على سماء العلم ، وتفوقوا على شمسها وبدورها ونجومها بأنوارهم العلمية النيرة ، وإضاءاتهم الأدبية الساطعة عبد الله بن محمد أفضل بن الحسين بن الحسين بن حيدر بن محمد وارب بن خير الدين بن معين بن معين بن طيب بن داؤد بن قطب بن عماد العمادي البكري التميمي اليماني ثم الهندي .[١]

ولد الأستاذ عبدالله بن محمد العمادي سنة خمس وتسعين ومأتين وألف – ١٢٩٥هـ – ، وقرأ على والدته أياماً ، ثم على والده وأخذ عنه الفقه والأصول والكلام ، وأخذ اللغة العربية والحديث والتفسير عن جده ، ثم لازم العلامة هداية الله بن رفيع الله الرامبوري ، وأخذ عنه المنطق والحكمة ، ثم ورد لكهنؤ وتولى إدارة جريدة " البيان " العربية – أنشأها الشيخ الشهير والعالم الكبير الأستاذ عين القضاة رحمه الله مؤسس المدرسة الفرقانية الكائنة بشوك ، لكهنؤ – فاشتغل بها مدةً ، ثم سار إلى أمرتسر وتولى إنشاء مجلة " البيان " العربية فاشتغل بالإنشاء مدة ، ثم سار إلى أمرتسر وتولى إنشاء جريدة " الوكيل " الغراء ، فأقام بتلك البلدة مدةً ، ثم سار إلى حيدرآباد الدكن ووظف بدار الترجمة .[٢]

وحرر الدكتور سيد جميل أحمد عن خدماته ونشاطاته : " وسافر إلى " لكهنؤ " وتولى رئاسة التحرير لـ " البيان " مجلة عربية ، فاشتغل

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ، جامعة مولنا آزاد الأردية الوطنية ، البريد الإلكتروني sayeed_makhashin@yahoo.com

١ التنوير ، عدد ممتاز حول اليمن ، القسم العربي بالجامعة العثمانية ٢٠٠٨م ، ص : ٣٨.

٢ عبدالحي الحسني : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، دائرة المعارف العثمانية ١٩٨١م ، ج : ٨ ص : ٢٩٨ .

www.albasulislami.com

بالإنشاء إلى مدة ثم رحل إلى أمرتسر بفنجاب . وكان له أتم إلمام بتحرير المجلات وإنشاء الجرائد ، فأسندت إليه أعمال جريدة " الوكيل " مدة .

والجدير بالذكر أنه قصد إلى حيدرآباد الدكن ، وعين موظفاً لدار الترجمة والتأليف ، وبذل فيها مجهوداته العلمية والأدبية حتى أصبح الناظر الشرعي لها ، وكان من كبار دار الترجمة علماً وفضلاً .

وكان مولانا عبدالله العمادي شديد الحرص على طاعة الله ونبيه صلى الله عليه وسلم وصريحاً في قول الحق ، وضليعاً في التدريس والتعليم .[1]

إن الأستاذ عبدالله بن محمد العمادي كان متقناً في العلوم الإسلامية ، ومتضلعاً في اللغات وآدابها ، وقد ترك الأستاذ عبدالله العمادي خلفه آثاراً جمةً تدل على براعته وخبرته في مختلف المجالات ومتنوع الحلقات ، منها :

١. شرح المفصل للزمخشري بالفارسي .
٢. والمحكمات .
٣. وعلم الحديث .
٤. وتاريخ العرب القديم .
٥. وصناعة العرب .
٦. وفلسفة القرآن .
٧. وكتاب الزكاة .
٨. وابن عربي .
٩. وبدعات المحرم .

كلها بالأردية ، وكلها طبعت ، وأما ما لم تطبع إلى الآن فمنها :

١٠. ترجمة الطبقات الكبرى لابن سعد بالأردو .
١١. وترجمة كتاب التنبيه والأشراف بالأردو .
١٢. وترجمة تاريخ جون بور للشيخ عبد القادر العمادي بالأردو .

[1] مقالة الدكتور سيد جميل أحمد : مساهمة دائرة المعارف العثمانية في نشر اللغة العربية ، ص : ٤٦٩ .

www.albasulislami.com

١٣. ومعاريف الهند بالعربي (طبع كثير من هذه الكتب بعد حياة مؤلف الكتاب) .
١٤. وكتاب الحرية والاستبداد في أن المسلم لا ينبغي أن يقبل الضيم بل يجب عليه أن يغير منكرات الاضطهاد مهما استطاع – بالعربي .
١٥. وقول فيصل في الرد على الشيعة .

وأما ما ترجمه من العربية إلى الأردوية فمنها :

١٦. مروج الذهب للمسعودي .
١٧. والمجلدان الأخيران من تاريخ الرسل والملوك للطبري .
١٨. والملل والنحل لابن حزم الأندلسي .
١٩. والمعارف لابن قتيبة وغير ذلك من المصنفات والتراجم .[١]

توفي الأستاذ العمادي ليلة الخميس لتسع خلون من شوال سنة ست وستين وثلاث مأة وألف – ١٣٦٦هـ – ، ودفن بجوار السيد بادبا رحمه الله في حيدرآباد .

مساهمته في الترجمة :

وكان الأستاذ عبدالله بن محمد العمادي يتقن لغات عديدةً مثلاً اللغة العربية والأردية والفارسية ، لذا نراه يساهم مساهمةً جادةً في فن الترجمة وحاول محاولةً كبيرةً لنقل العلوم العربية إلى اللغة الهندية ، والأردية بشكل خاص . منها :

- ترجمة الطبقات الكبرى لابن سعد بالأردو – غير مطبوعة – يعتبر كتاب " الطبقات الكبرى " لابن سعد من أهم كتب الطبقات وأقدمها ، وقد اعتمد عليه كثير من أصحاب السير والمغازي كما اعتنى به المؤرخون والنسابون وأئمة الجرح والتعديل ، ويمتاز هذا الكتاب بتنوع المادة وتشعب الأخبار ومختلف ضروب العلم ودقة المؤلف بذكر الأسانيد للروايات الحديثة والتاريخية وحتى الأخبار المتعلقة بالأوصاف الشخصية .

[١] عبدالحي الحسني : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٨١م ، ج : ٨ ، ص : ٢٩٨ .

www.albasulislami.com

- ترجمة كتاب التنبيه والأشراف للمسعودي بالأردو – غير مطبوعة – تحدث فيه مؤلف هذا الكتاب أبو الحسن علي بن حسن المسعودي عن الأفلاك وهيئتها والنجوم والعناصر وتركيبها وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والأرض وشكلها ومعرفة السنين القمرية والشمسية وبعض المواضع التاريخية .
- ترجمة تاريخ جون بور للشيخ عبد القادر العمادي – غير مطبوعة – .
- ترجمة مروج الذهب للمسعودي بالأردو – غير مطبوعة – ويعتبر هذا الكتاب أثمن جوهرة من الجواهر الكثيرة المنتظمة في عقد علم الجغرافيا والأدب والتاريخ .

تحدث المسعودي عن الدوافع التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب قائلاً : وكان مما دعانا إلى تأليف كتبنا هذه في التاريخ وأخبار العالم وما مضى في أكناف الزمان من أخبار الأنبياء والملوك وسيرها والأمم ومساكنها ، محبةُ احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء ، وأن نبقى للعالم ذكراً محموداً وعلماً منظوماً عتيداً ، فإنا وجدنا مصنفي الكتب في ذلك مُجيداً ومقصراً ، ومُسهباً ومختصراً ، ووجدنا الأخبار زائدةً مع زيادة الأيام حادثةً مع حدوث الأزمان ، وربما غاب البارع منها عن الفطِن الذكي ، ولكل واحد – منهم – قسط يخصه ، بمقدار عنايته ، ولكل إقليم عجائب يقتصر على علمها أهله ، وليس مَن لزم جمرات وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار ووزع أيامه بين تقاذُف الأسفار ، واستخرج كل دقيق من معدنه وأثار كل نفيس من مكمنه .[1]

- المجلدان الأخيران من تاريخ الرسل – الأمم – والملوك للطبري بالأردو – غير مطبوعة – وهذا الكتاب أعني تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب ، فقد جمع أنواع الأخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على ضروب العلم ، وهو كتاب تكثر

[1] أبو الحسن علي بن حسين المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، شرح وضبط : د . عفيف نايف حاطوم ، دار صادر بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص : ٤ .

www.albasulislami.com

فائدته وتنفع عائدته ، وكيف لا يكون كذلك ، ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، وإليه انتهت علوم فقهاء الأمصار وحملة السنن والآثار .[1]

- الملل والنحل لابن حزم الأندلسي بالأردو – غير مطبوعة – إن هذا الكتاب يتبوأ منزلةً مرموقةً ويحتل أهميةً خاصةً لعدة اعتبارات في مجال مقارنة الإسلام بغيره من الديانات الموجودة على كرة الأرض ، ولا سيما الديانتين المسيحية واليهودية ، كما جرى ابن حزم في دراسة الأديان من مستوى الوصف إلى مستوى أعمق ، ألا وهو مستوى النقد العلمي الصريح للتوراة والأناجيل ولأسفار العهدين القديم والجديد .

- المعارف لابن قتيبة بالأردو – غير مطبوعة – إن هذا الكتاب يشتمل على فنون كثيرة من المعارف ، أولها مبتدأ الخلق وقصص الأنبياء وأزمانهم وحلاهم وأعمارهم وأعقابهم وافتراق ذراريهم ونزولهم بمشارق الأرض ومغاربها ، وأسياف البحار والفلوات والرمال ، إلى أن بلغت زمن المسيح والفترة بعده ، ثم يحتوى على أنساب العرب والقبائل الشهيرة كما يتضمن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسبه وذكر عمومته وعماته وجداته لأبيه وأمه وأظآره وأزواجه وأولاده ومواليه وأحواله في مولده ومبعثه ومغازيه إلى أن قبض صلى الله عليه وسلم وما إلى ذلك من أخبار الصحابة والتابعين وأصحاب الملل والنحل .

بالإضافة إلى ذلك ، جاد قلمه بمقالات علمية ضافية على موضوعات متنوعة نشرتها في مختلف المجلات والجرائد ، منها مقالته العلمية على ابن الهيثم التي نشرت في المباحث العلمية من المقالات السنية بقيد العنوان " ابن الهيثم وما أصله في علم المناظر " . ها أنا أقدم نموذج منها :

" فتبين ابن الهيثم من اضطراب آرائهم واختلاف مذاهبهم أن الحقائق غامضة والغايات خفية ، والشبهات كثيرة ، والأفهام كدرة ، والمقاييس مختلفة ، والمقدمات ملتقطة من الحواس ، والحواس التي هي العدة غير مأمونة من الغلط ، فطريق النظر معفي الأثر ، ولذلك تكثر الحيرة ، وتشتت

[1] مروج الذهب للمسعودي ، ص : ٦ .

www.albasulislami.com

الآراء ، وتتفرق الظنون ، وتختلف النتائج ، ويتعذر اليقين " .[1]

" الاعتراض على ابن الهيثم : واعترض المتكلمون عليه بأنه قد اعترف بأن ما ذكره محتاج إلى الحدس ، فلا يكون حجة على الغير ، ومذهبهم أن الرؤية سواء كانت متعلقةً بالألوان أو بغيرها أمر يخلقه الله في الحي وفق مشيئته ، ولا يشترط بضوء ولا مقابلة ولا غيرهما من الشرائط التي اعتبرها ابن الهيثم وغيره من الحكماء ، ونحن لا نتعرض للبحث عن ذلك لأنه خارج عما نحن فيه " .[2]

إحياء التراث العلمي :

إن الأستاذ عبدالله محمد العمادي ترك بصمات بينة على متنوع الفنون ومختلف العلوم ، ومن بينها إحياء التراث العلمي . إن الأستاذ لم يأل جهداً في إحياء التراث العلمي ونقع الغبار عن المؤلفات العربية وهتك الستار عن المخطوطات النفسية حتى قام الأستاذ بإلقاء النظرة الأخيرة على كتاب " ميزان الحكمة " للسيد عبدالرحمن الخازني المتوفى ٥٠١هـ ، وهذا الكتاب يتناول موضوعات أصول الطبيعيات مثل مسألة جاذبية الأرض ومركز ثقلها .

الوفاة :

لم يزل الشيخ عبدالله العمادي مشغولاً في إثراء المكتبة الإسلامية والعربية بإنتاجاته القيمة حتى أتاه اليقين ليلة الخميس لتسع خلون من شوال سنة ست وستين وثلاث مأة وألف ، ودفن بجوار السيد أحمد بادبا رحمه الله في حيدرآباد .[3]

شعره :

إن سعادة الأستاذ عبدالله بن محمد العمادي رحمه الله قد تقلد منزلةً مرموقةً ، وتبوأ مكانةً ملموسةً في الأوساط العلمية والأدبية

---

١ المباحث العلمية من المقالات السنية لدائرة المعارف العثمانية ، ١٣٥٨هـ ، ص : ١٩١

٢ المصدر السابق .

٣ عبدالحي الحسني : نزهة الخواطر ، دائرة المعارف العثمانية ١٩٨١م ، ج : ٨ ص : ٢٩٨ .

www.albasulislami.com

بقصائده العربية وإنتاجاته الرائعة في الشعر العربي ، مع أنه لم يمارس فيه ممارسةً كبيرةً في هذا المجال ، لأن نشاطات التأليف والترجمة والتحقيق والتنقيب لم تتح له فرصة الخوض في الشعر العربي والعكوف عليه وإدراك غوره . وإنه يتأهل أن يعد من أهم الشعراء العرب بسبب أسلوبه الرشيق ، فهو يتفوق على كثير من شعراء الشعر العربي في بناء أساليبه وجمله واختيار كلماته لقصائده العربية .

وأما أسلوبه الرشيق فيما تركه من الإنتاجات الرائعة فهو يمتاز بالسلاسة والوضوح والإحساس المرهف ، كما يمتاز شعره بمظاهر المحبة والمودة فينهل من عيونه الصافيات ويعل ، فيتجلى له عينه ووجوده في كل شيئ ، فيراه حوله فيخاطبه ويهمسه مغترماً له ، فيقول :

سقاني الحب راحا بعد راح فما للراح مني من براح
وعلتني عيون صافيات فيجري ضوؤها من بين راحي
سقوني عين شمس من بدور فميزت البكور عن الرواح
أرى آياته في كل شيئ ففرقت السهول من البطاح
تجلى النور من فوق وتحت ربت أضواؤه كيل المساح
حياتي بين آيات الكتاب وأحياء المساند ارتياحي
معاشي للمعاد ، وماء وجهي جرى بين المعاجم والصحاح
ويستغني عن شمس وبدر قضى له الدواجي والضواحي
إذا ما النفس بالنور استنارت تكف عن اغتباق اصطباح
تناديني ملائكة كرام هادا تقشعر له النواحي
صلاحك في سيوف ماضيات يحل الأمر عن كامس وراح
صلاحك في دروع سابغات فيا وسنان حى على الفلاح
نجاتك في سهام صائبات تنجي الشعب عن رق متاح
حياتك في ممات المشركينا وعيشك في إبادة من يلاح
ملاحاة الزمان قد استعرت فلا يغنيك ملح من ملاح [1]

[1] البروفيسور محمد سلطان محي الدين : علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي ، ص : ١٨٩ – ١٩٠ ، مطبعة أبو الوفاء الأفغاني ، ٢٠٠٥ .

www.albasulislami.com

صور وأوضاع

الإسلام نظام كامل متكامل للحياة

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

إن الإسلام نظام متكامل للحياة ، يشمل جوانب الحياة الفردية والاجتماعية ، والروحية والمادية ، بدون تفريق وتمييز بينها ، ولا يقوم كيان الحياة الإسلامية ولا يتحقق له النصر والغلبة إلا إذا وُجِد ارتباط وتركيب متناسب بين سائر هذه العناصر التي يتكوَّن منها الصرح الإسلامي ، وإن مثله مثل البنيان الذي لا يقوم بمجرد مواد البناء والتشييد – مهما كانت متينة ونافعة ووافرة – إذا لم تُرَكب هذه المواد المتفرقة بتنسيق متوازن ، وبتخطيط بنائي ، لا يثبت هذا البناء في مكانه ، ولا يؤدي وظيفته المنشودة إذاحدث خلل في التركيب ، أو أصيب جزء منه بوهن أو استرخاء ، ولذلك وصف الحديث النبوي الشريف المسلم وحياته بالبنيان الذي يشدُّ بعضه بعضاً ، وبالجسد الواحد .

ليست مشكلة المسلمين اليوم أن الإسلام غير مُمَثَّل في حياتهم ، ولا توجد نماذج للتعاليم الإسلامية ، وإنما المشكلة هي أن هناك نماذج ، وهناك جهوداً لتمثيل جوانب مختلفة من التعاليم الإسلامية ، لكنها متفرقة ، وإذا وجدت فهي غير متناسبة ، فيوجد الدعاة إلى عقيدة صافية ، ومتمسكون بها ، وتوجد عناية بالعبادات والأخلاق ، وعناية بالدعوة إلى الإسلام ، وتوجد أفراد وجماعات تقوم بالتضحية والفداء في سبيل الإسلام ، وكل جانب من جوانب الحياة الإسلامية ممثَّل في الحياة المعاصرة ، ولكن هذه الجهود مفرقة وملتزمة بجوانبها الخاصة التزاماً يمنعها من العناية بجوانب أخرى للعمل ، وقد يقتنع فريق بعمله ، والتزامه بجانبه بطريق لا يجد وقتاً ولا داعياً إلى التعرُّف على النشاط الإسلامي في الجانب الآخر ، والإسهام فيه ، فإذا كان هذا الفريق مثلاً مهتَّماً بالتعليم ، فلا يهمه أن وقعت ردة في منطقة مجاورة له ، أو في أي جزء من أقطار العالم ، وإن كان مهتَّمًا بالدعوة فلا يهمه إذا انتشر الجهل والفقر في المسلمين فيصبحون عالة على غيرهم ، وإذا كان مشغولاً بخدمة الناس ، والعناية بأعمال الإغاثة ، وحل مشاكل اجتماعية واقتصادية فلا تلتفت عنايته إلى جانب إصلاح النفس وتوثيق الصلة مع الله ، والتخلق

www.albasulislami.com

بالأخلاق الإسلامية ، وبأعمال الدعوة ، وبالجهاد وردّ الظلم في غير مجتمعه الذي يعيش فيه ، فتبقى كثير من المسائل والمشاكل والأمراض الاجتماعية والانفرادية غير معالجة ، لأنه ليس هناك من يهتم بها .

وإن هناك نظماً للتعليم والتربية لا تتطابق مع تعاليم الإسلام ، وإن هذه النظم للتربية والتعليم مقتبسة من نظم التعليم الغربي الذي يعتني بالجوانب المادية فقط ، ولا تتمسك بالقيم الخلقية فيوجد بذلك في الحياة تناقض .

وتأتي في هذا السياق الحركات التي تسمى بالحركات الإسلامية ، فإن الوسائل التي تختارها هذه الحركات لا تأتي في ضمن التعاليم الإسلامية لتحقيق الأهداف بأي وسيلة من الوسائل ، فإن الإسلام يؤكد على سلامة الوسائل ، ويفرض عليها قيوداً ، فإذا كانت الوسائل غير مطابقة للإسلام فإنها لا تحقق الأهداف المنشودة ، وينطبق ذلك على كثير من الحركات الإسلامية المزعومة المعاصرة ، وفشلها في تحقيق أهدافها يرجع إلى حدٍ كبير إلى عدم رعاية التعاليم الإسلامية .

إنها لا شك جهود صالحة لها ثمارها ونتائجها ، يشكر عليها القائمون عليها ، ويؤجرون ، لكن رفع الأمة الإسلامية ككل لا يتمّ إلا بجهود موحدة ، تشارك فيها سائر الطاقات والقوى العاملة بتناسُق وانسجام بين جوانب العمل ، وتكافُل القوى ، وتمثيل سائر الجوانب ، ولو بأقدار معينة في الحياة بحيث تقترن العبادة بالأخلاق ، وخدمة الإنسان ، والدعوة والجهاد ، وتجد سائر شعب الإسلام تمثيلها المتناسب المتناسق في حياة المسلمين ، وخاصة في حياة العاملين ، ويقف المسلمون صفاً واحداً في قيادة موحدة خالصة لعزة الإسلام والمسلمين ، واعية بالأخطار والتحديات ، بصيرة بطرق المعالجة في تحقيق هذا الهدف ، فالمسألة الأساسية الجوهرية هي مطابقة الحياة الإسلامية مع تعاليم الإسلام الكاملة ، وفي سائر الجهات من الشعور ، والعاطفة إلى العمل والمظاهرة ، والتناسق بين هذه الجوانب .

كان العمل الإسلامي في الماضي رغم عدم توفر الوسائل للإعلام أكثر انتشاراً ، وأكثر صلاحية لكسب القلوب ، لأنه كان يقوم على الصلاح الذاتي للمسلمين الذين كانت حياتهم تعكس التعاليم التي كانوا يتظاهرون بها في حياتهم ، وإن كانوا تجاراً ، أو كانوا يشتغلون بالأمور التي تعتبر دنيوية ، وكان الصلاح الذاتي مقترناً بالإصلاح

www.albasulislami.com

الاجتماعي ، لأن صلاح الفرد لا يضمن له بالبقاء إلا إذا صلح المجتمع الذي يعيش فيه ، فإن المجتمع بمثابة حمى ، يحمل قوة رادعة ، وقد أهمل في الحياة الاجتماعية اليوم جانب الصلاح الفردي ، ولذلك فقدت الدعوة تأثيرها رغم تدعيمها بالوسائل ، كان فرد واحد في السابق يحدث انقلاباً لأن نفوذه كان يمتد ، ويتوسع بمدى ارتفاع مستواه في الصلاح الذاتي ، وتمسُّكه بالقيم التي يدعو إليها ، وبأخلاقه وشمائله ، وبتحرق قلبه لإصلاح الناس ، واستئصال جذور الفساد من حياتهم ، وكان عمله يطابق مصلحة الدعوة ومصلحة الأمة ، وكان يعيّن مهمته ومنهج عمله حسب حاجة الأمة ، لا حسب ذوقه واختصاصه ، فلم تكن الدعوة مهنة ، وإنما كانت هواية ووسيلة للتقرُّب إلى الله ، وكان الجلوس في مجلس فرد من هؤلاء الأفراد ، أو الاتصال به لفترة قصيرة من الزمن عامل تغيُّرٍ في الحياة ، وفي التاريخ أمثلة لحدوث تغيُّر جوهري في الحياة باتصال عابرٍ بفرد صالح له قلب مستنير تجسدت فيه دعوته ، فقد تكون طبيعة بعض النفوس رقيقة نفاذة ، يشف منه الصلاح ، وتنجذب إليه القلوب ، وتقبل عليها النفوس ، وتحمل نظراتها جاذبية تثير القلوب وتحملها على الاحتساب ، وتحدث في النفوس ثورة ذاتية .

ومثل هذا التأثير يلاحظ أكثر في حياة الدعاة الذين يحرصون على اتباع السنة ، ويحكمون الشريعة في حياتهم ، وقد غيّر بعض الصالحين الدعاة بتأثيرهم على النفوس مجتمعَهم عن طريق جلسائهم ومجالسهم ، وأحدثوا الحس الديني في قلوبهم ، وهو استحسان الحسن ، واستقباح القبيح ، والانفعال برؤية المنكر ، والاستبشار برؤية الحسنات ، وقد أنجب التاريخ الإسلامي أعلاماً تتصف حياتهم بالوحدوية والشمول ، وإعداد الجيل الجديد المحافظ المرابط ، الأعلام الذين بدأوا حياتهم بالصلاح الذاتي وبتزكية النفس ، ثم الدعوة إليها ، ثم التربية ، والالتزام بالسنة والشريعة ، ثم عكفوا على الإصلاح الاجتماعي ، واختاروا مناهج للإصلاح وتغيير المجتمع ، ومعالجة المشاكل والفتن في عصرهم .

إن هذا الشمول والجامعية هي أبرز ملامح السيرة النبوية والمتبعين لها ، والمتصفون بهذه الميزة يستحقون أن يكونوا قدوة للدعاة في الظروف الحاضرة ، ويستحق منهج حياتهم أن يكون موضع دراسة لدى القائمين بأعمال الدعوة في الوقت الحاضر حيث التقط الدعاة العاملون للإسلام أجزاء متفرقة ، وركزوا جهدهم على جوانب معينة ، وأغفلوا جوانب .

www.albasulislami.com

لقد ربط الإسلام كل عمل بالنية ، وثم ربط كل عمل بعمل آخر، ويدل على هذا الترابط ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن خطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : فلان شهيد ، وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كلا ، إني رأيته في النار في بردة غلها " (رواه مسلم رقم : ١٨٢) وفي حديث عن أبي قتادة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله ، والإيمان بالله ، أفضل الأعمال ، فقام رجل ، فقال : يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر " ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كيف قلت ؟ " قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، إلا الدين " فإن جبرائيل عليه السلام قال لي ذلك ، (رواه مسلم رقم : ١٨٨٥) ، وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، ابتغي الأجر من الله ، قال : " فهل من والديك أحد حي ؟ " قال : نعم ، بل كلاهما ، قال : " فتبغي الأجر من الله ؟ " قال : نعم ، قال : " فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما " . (رواه مسلم رقم : ٦٥٠٧) .

إن الذين يتولون تربية الشباب أو لهم دور في مجال التربية والتعليم ، أو إسهام في مجال خاص من مجالات العمل الإسلامي ، يجب عليهم أن يراعوا تفاوت الأحكام بتفاوُت الظروف الشخصية الاجتماعية ، والتناسب في اتباع الأحكام الدينية ، والتوجُّه إلى مجالات العمل ليتحقق توازن بين القوى ، واعتدال في الفكر والعمل ، وأن يكونوا أنفسهم قدوة وأسوة في الاتباع الكامل لتعاليم الإسلام ، لا يحتاج ذلك إلى إخراج مسيرة ، أو احتجاج ، أو تشكيل منظمة ، أوحركة .

لقد فشلت كثير من الحركات الإسلامية في تحقيق أهدافها المنشودة ، الأمر الذي يحدث سؤالاً في النفوس لماذا لا تكسب هذه المجهودات التي تبذل في سبيل الإسلام النصر ؟ وتحدث في النفوس الظنون ، فإن هذه الشكوك تزول إذا قام أحد بدراسة عميقة ومقارنة بين الأهداف والوسائل التي تختارها هذه الحركات .

www.albasulislami.com

في روضة الشعر والأدب

الرسول يكفيني

[ترجمة شعرية حرة لقصيدة الدكتور محمد إقبال في الأردية بعنوان : الصديق ، يشيد فيها بموقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه في تضحيته بكل ما لديها إيثاراً لحب الرسول صلى الله عليه وسلم : وهذه القصة مستوحاة من حديث رواه الترمذي ، فيما حدث قبل غزوة تبوك .]

الأستاذ أبوبكر الصديق الندوي[1]

يَـومـا أشـارَ رسولُ اللّه صُحبتَه ... أن يُـنـفـقـوا مالَهم للّه مُحتسِبا
فـارتـاح منه نُفوسُ الكل مُبتهجا ... كـادُوا يَـطيرون في شَوق لما طَلَبا
أجـابَـه عـمـرُ الـفاروق في عَجل ... ظـنـا تـقـدُمُـه الصديقَ قد وجبا
وجـاء يـأخـذُ قِسطا من حيازتِه ... إلـى الـرسـولِ يَتُوقُ الأجرَ والطربا
لـمـا رآه صَـفـيُ اللّه يَـقـتـربُ ... والـمـالُ يُـثقِلُ كفَّيهِ بما اصطحبا
" قُـل لي بلا خَجلٍ هل أنتَ يا عمرُ ... أبقيتَ ما يُـجزِي الأولادَ مُرتقِبا ؟ "
" تركتُ نصفا لهم والنصف أُنفقُه ... في الدين أُرضِي رسولَ اللّه مُنقلَبا "
فـحـينَ ذاك أتـاهُـم ذلك الـعَلَمُ ... بـالصدق متَّصِفا اسما كذا لقبا
مِـمَـن أشـاد بناءَ الحُبِّ في شَغفٍ ... وتـوَّجَ الـعـيـشَ بالإيـثار واقتربا
والـجـودُ شِـيـمتُه والعِزُ رِفعتُه ... رضـا الـرسـول يُرِيح القلبَ وانقلبا
يـأتِـي إلـيـه مع الأموالِ قاطبة ... فـيها الإماءُ وفيها كلُّ ماكتسبا
" ما لي أراكَ جَلبتَ الكُل لا تُبقِي ... في حـاجـةِ الأهل والأولاد ما وجبا
أمـا عـلـمـتَ بأن الأهلَ طابَ لهُم ... أن تَـترُكوهم ولا يَجدُوا لهم سببا "
" يـا من تسببَ للأكوان مَطلعُه ؟ ... وأشـرق الـبـدرُ مـن نورٍ لـه سَلَبا
إن الـفَـراشَ إلـى المِصباح مائلةٌ ... كـذا الـبـلابـلُ بالأزهار مُتطَرِبا
لـكـنَّه يَكفِي الصدِّيقَ مَكرُمةً ... أن يـسـتطيبَ رسولَ اللّه"وا عجبا !

[1] من كاسركود ، كيرالا (الهند) .

www.albasulislami.com

أخبار علمية وثقافية

اجتماع عام لحركة رسالة الإنسانية في رائي بريلي (الهند)

محمد فرمان الندوي

انعقد اجتماع سنوي عام لحركة رسالة الإنسانية في زاوية الشيخ علم الله الحسني ، برائي بريلي ، أترا برديش (الهند) ، وذلك في ١٧ – ١٨ من شهر صفر ١٤٤٠هـ ، المصادف ٢٧ – ٢٨ من شهر أكتوبر ٢٠١٨م ، تحت رئاسة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس الحركة ورئيس ندوة العلماء ، لكناؤ) ، حضره عدد وجيه من علماء الهند ومسئولي الحركة ، وكان الاجتماع موفقاً ، بحيث أكد الحضور على تهدئة الأجواء الطائفية وإنشاء مجتمع يعيش فيه الإنسان محتفظاً بأسسه وقيمه وآدابه .

ألقى في هذا الاجتماع السنوي كل من العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي والشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، والدكتور السيد سلمان الندوي بن العلامة السيد سليمان الندوي والأستاذ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي (سكرتير الحركة) ، ووجهوا الحضور إلى اتخاذ خطوات إيجابية ومواقف سلمية في الشئون العامة ، وانتهى الاجتماع بدعاء رئيس الحركة .

والجدير بالذكر أن هذه الحركة أسسها الإمام العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي في السبعينيات من القرن المنصرم ، حينما رأى أن القيم الإنسانية قد تضاءلت من المجتمع الإنساني ، وبدأ الإنسان يظلم أخاه ، ويعتدي عليه لإشباع غرائزه وإطفاء نار نفسه ، وقد حدثت جراء ذلك حوادث دامية واضطرابات خطيرة ، عرف الإمام الندوي أن الجو إذا كان مكدراً ، والمجتمع سيئي الظن بصاحبه لم تؤثر فيه الجهود الدعوية والنشاطات العلمية ، فالحاجة ماسة إلى تغيير هذا الجو ، وتبديله بالأمن والعافية .

www.albasulislami.com

الندوة الثامنة والثلاثون لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في بجنور (الهند)

عقد مكتب رابطة الأدب الإسلامي لشبه القارة الهندية ندوةً أدبيةً في جامعة الفيصل بمنطقة تاج فور ، من مديرية بجنور (أترا براديش ، الهند) ، في ٢٣ – ٢٤ صفر ١٤٤٠هـ المصادف ٣ – ٤ نوفمبر ٢٠١٨م ، وكان موضوع الندوة أدب الأطفال . رأس الجلسة الافتتاحية سعادة أستاذنا الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي (نائب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي لشبه القارة الهندية ، ومدير دارالعلوم لندوة العلماء) ، وألقى كلمته الرئاسية ، تناول فيها خلفية تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وذكر أن سماحة شيخنا رحمه الله تعالى قد أسس حركتين كبيرتين : إحداهما للعامة ، وأخراهما للخاصة ، فحركة رسالة الإنسانية هي للعامة من الناس ، ورابطة الأدب الإسلامي هي حركة خاصة ، وكلتا الحركتين تعملان في مجاليهما بكل نشاط ، وأضاف الشيخ قائلاً : إن رابطة الأدب الإسلامي ليست كعامة الحركات ، بل لها صميم علاقة بالدين ، ذلك أن الناس كانوا يعتبرون الأدب متعةً وتسليةً للنفس ، فنادت رابطة الأدب الإسلامي بأن الأدب وسيلة للبناء لا للهدم ، وأداة فعالة للنفع لا للضرر ، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنسان والكون والحياة .

بدئت الجلسة الافتتاحية بتلاوة المقرئ محمد عاقل من جامعة مظاهر علوم بسهارنفور ، ثم قُدم تقرير سكرتير رابطة الأدب الإسلامي العالمية فضيلة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، ناب عنه فضيلة الشيخ الدكتور نذر الحفيظ الندوي ، كما قام الأستاذ محمد إلياس البهتكلي الندوي (عضو الرابطة) بتعريف الرابطة وحاجته في هذا العصر ، وقدم خطبة الرئاسة لرئيس الرابطة (العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي) نيابةً عنه الأستاذ إقبال أحمد الغازيفوري الندوي (مسئول مكتب الرابطة) ، وألقى كلمة الوفود كل من الشيخ محمد سفيان القاسمي (رئيس جامعة دارالعلوم ديوبند وقف) الشيخ محمد أشهد الرشيدي (رئيس المدرسة القاسمية ، شاهي مراد آباد) ، وانتهت الجلسة الافتتاحية بدعاء من رئيس الجلسة .

www.albasulislami.com

ثم عقدت جلسات للمقالات ، وكانت المقالات حول أهمية أدب الأطفال في ضوء الكتاب والسنة ، وأدباء الأطفال عبر العصور باللغة الأردية والعربية أمثال كامل الكيلاني ، ونجيب الكيلاني وجودة السحار وعطية الأبراشي ، والشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي والأستاذ إسماعيل الميرتهي والطبيب شرافت حسين الرحيم آبادي والأستاذ مائل الخير آبادي والأستاذ سراج الدين الندوي ، وقد جاوز عدد المندوبين المأة ، وكان عدد المقالات ٨٠/ مقالاً .

ومن أبرز المشاركين في هذه الندوة البرفيسور شفيق أحمد خان الندوي ، والبروفيسور أنيس الجشتي والأستاذ راهي فدائي والأستاذ محمد خالد الغازيفوري الندوي والأستاذ رضي الإسلام الندوي وغيرهم ، وقد عقدت هذه الندوة باعتناء وتوجيه خاص من الأستاذ سراج الدين الندوي رئيس جامعة الفيصل ، وله جهود مشكورة حول أدب الأطفال ، ومعه جماعة مخلصة من العلماء أمثال الأستاذ محمد يسين ذكي ، والأستاذ ذو الفقار الندوي .

محاضرات الشيخ الدكتور السيد سلمان الندوي في ندوة العلماء

يزور كل عام الشيخ الدكتور السيد سلمان الندوي نجل العلامة السيد سليمان الندوي (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة دربن ، بأفريقيا الجنوبية سابقاً) ندوة العلماء لكناؤ ، ويلقي محاضرات علمية أمام الطلبة حول مواضيع مختلفة ، فقد زار الشيخ ندوة العلماء لكناؤ في ٢٦ – ٢٩ من شهر أكتوبر ٢٠١٨م لأربعة أيام ، ألقى خلال ذلك محاضرات في قسم الدراسات العليا حول : القرآن الكريم وشروط الاستفادة منه ، والسيرة النبوية وتساؤلات المستشرقين ، والسيرة النبوية : دروس وعبر ، كما ألقى أمام الطلبة خطبةً عامةً تشتمل على أهمية العلم وحاجة الربانية ، ووجّه الطلاب إلى أن يجعلوا نوابغ ندوة العلماء كنماذج لهم أمثال العلامة السيد سليمان الندوي والشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وكانت الخطبة قيمةً ، فاستمع إليها الحضور بكل شوق وررغبة ، وكانت له مشورات ولقاءات مع أساتذه هذه الدار ، نرجو أن زيارته تتكرر بإذن الله تعالى ، حتى نستفيد من محاضراته القيمة ، بارك الله في حياته وتقبل منه جهوده وجهاده في سبيل العلم والدين .

www.albasulislami.com

إلى رحمة الله تعالى

(١) فضيلة الشيخ مولانا سميع الحق في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء بنبأ وفاة العلامة سميع الحق رئيس جامعة دارالعلوم الحقانية، وقد قتلته جهة غير معلومة في راولبندي في منزله الذي كان يقيم فيه، وذلك ليلة الجمعة ٢/ من شهر نوفمبر ٢٠١٨م الموافق ٢٣/ من شهر صفر لعام ١٤٤٠هـ وتم دفنه في (أكوره ختك) مساء يوم السبت ، وكانت قد احتشدت جماعات كبيرة من المسلمين بهذه المناسبة ممن كانوا ذوي صلة مخلصة مع الفقيد رحمه الله تعالى .

كان الفقيد المرحوم من كبار علماء الإسلام ، وبالأخص تولى إمارة جمعية علماء الإسلام في باكستان إلى آخر أيام حياته وقام بخدمات جليلة في مجال الدعوة والتعليم الإسلامي ، فكانت دارالعلوم الحقانية مركز نشاطاته وأعماله وقد كانت له خدمات غالية في جميع مراكز العمل الإسلامي من التعليم والتربية والدعوة والسياسة والاجتماع .

ونحن إذ نعزي نجله الكريم الشيخ حامد الحق وجميع أعضاء أسرته نتضرع إلى الله أن يتغمده بواسع رحمته وغفر له زلاته ، ويتقبل خدماته المخلصة في مجال العلم والدين والاجتماع ، ويدخله فسيح جناته ، ويلهم أهله وجميع أعضاء أسرة العلم والدين والدعوة ، الصبر الجميل والدعاء الخالص للرحمة والمغفرة .

(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) .

(٢) الأستاذ كليم الله خان في ذمة الله تعالى

كان نبأ الأستاذ كليم الله خان يوم الخميس ٢٢/ محرم ١٤٤٠هـ المصادف ٢٠١٨/١٠/٤م فجاءة ، مبعث حزن واسى للجميع ، فقد كان كبار رجال الدعوة والتبليغ في مدينة لكهنؤ ومحبي ندوة العلماء ورجالها والمسئولين عنها يحبونه ، ولا سيما كان محبباً لدى سماحة أستاذنا العلامة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، والعلامة الشيخ محمد منظور النعماني رحمه الله تعالى وجميع أعضاء أسرتيهما ، وكان مواظباً على الإسهام في جميع برامج الدعوة والخروج مع الجماعات إلى مختلف أنحاء البلاد في مناسبات ذات أهمية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

مارس مهنة الأستاذ للغة الإنجليزية في الكلية الإسلامية في لكهنؤ ، ثم بدا له أن يغادر مع أسرته إلى مدينة إله آباد بولاية أترابراديش ويتخذها موطناً مستقلاً ، لكنه كان دائم الصلة بعمل الدعوة والتبليغ إلى آخر حياته .

www.albasulislami.com

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً وغفر له زلاته وتقبل عمله في خدمة الدعوة إلى الله تعالى ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وجميع أصدقائه وزملائه في العمل للدعوة ، الصبر والسلوان ، والله ولي الرحمة والمغفرة لعباده المخلصين .

(٣) فضيلة الشيخ محمد عمار الإله آبادي إلى رحمة الله تعالى

غادر إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ العارف بالله محمد عمار الأعظمي ثم الإله آبادي ليلة الخميس ، ٨/ من شهر صفر الخير ١٤٤٠هـ الموافق ٢٠١٨/١٠/١٨م بعد ما أصيب فجاءةً بمرض شبيه بالفالج ، وقد تناوله الأطباء البارعون بالمعالجة بغاية من الاهتمام في مدينة إله آباد أولاً ، ثم نقل بإشارة منهم إلى مستشفى في لكهنؤ حيث جرى علاجه بشيئ كثير من الدقة والعناية البالغة ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يكتب له الشفاء ولبّى نداء ربه ليلة الخميس ٨/ من شهر صفر ١٤٤٠هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان فضيلة الشيخ محمد عمار من أفاضل العلماء ممن تربوا تحت رعاية العارف بالله العلامة الشيخ وصي الله الفتحبوري رحمه الله تعالى ، إلى مدة طويلة، وكان قد أسس بإيعاز منه مدرسة إسلامية باسم جامعة أفضل العلوم في مدينة إله آباد منذ مدة طويلة ، تخرج منها عدد كبير من العلماء والدعاة وأصحاب العلم والمعرفة ، وقاموا بأداء واجب الدعوة والتعليم في مناطق مختلفة ، فكانت هذه الجامعة تعتبر مركزاً تعليمياً ودينياً كبيراً في هذه المدينة ، وكانت توجهات الناس مقبلة على الاستفادة منها وتوسعة نطاقها ، وقد بذل الفقيد الجليل جميع طاقاته ووسائله في تطويرها واستزادة عدد الشباب الموضوعيين لكي يستفيدوا منها في معرفة أساليب الدعوة إلى الله تعالى ووضع قواهم العلمية والعملية لتوسعة نطاقها من جميع الجهات ، ويرجى أن تثمر هذه المجهودات ثماراً يانعة جنية في مجال التعليم والتربية ، ومقاومة الظروف الشاذة التي يوفرها عناصر مرضية في المجتمعات الإنسانية ، وقد آل منصب الرئاسة لهذه الجامعة إلى نجله الكريم الشيخ محمد أفضال ، حفظه الله تعالى .

تغمده الله تعالى بالرحمة والمغفرة وغفر له جميع زلاته وخطاياه ، ويتقبل عمله الخالص لوجه الله تعالى ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، ووفق من أنجاله من يحمل عبء هذه المسئولية الجليلة بمجرد فضل الله تعالى وتوفيقه الكامل ، والله ولي التوفيق .

(٤) الشيخ عبد الرشيد البستوي إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة مفاجئة لفضيلة الشيخ عبد الرشيد البستوي ، أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمام محمد أنور الكشميري ببلدة ديوبند ، وذلك بعد ما أصيب بالحمى الصفراوية ، ورغم أنه لم يقصر في العلاج إلا أنه لم يكتب له

www.albasulislami.com

الشفاء ، وجاءه الأجل المسمى ، ولحق بالرفيق الأعلى في ١/ من شهر صفر ١٤٤٠هـ المصادف ٢٥/ من شهر أكتوبر لعام ٢٠١٨م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد الشيخ عبد الرشيد قائماً بتدريس مادة الحديث الشريف بجامعة أنور ، فكان محبباً لدى طلابه ومقبولاً بين المدرسين الآخرين ، وقد خلف وراءه جماعة من تلاميذه والمحبين له ، وكان قد رُزق الشغف بالعلم والفقه والبصيرة ، فكان حريصاً على نشر العلم بين طلبة العلم والدين وعن طريقهم على نشر الخير والإخلاص في المجتمع .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وغفر له زلاته وخطاياه ، وتقبل خدمته العلمية والدينية ، ورزقه جنات النعيم ، وألهم اهله وذويه الصبر الجميل . (والله يحب المحسنين) .

(٥) نجل الشيخ السيد عبد الرشيد الندوي في ذمة الله تعالى

فوجئ الناس في محيط دارالعلوم وخارجها بنبأ وفاة الأخ العزيز محمد عبد الوحيد نجل الشيخ عبد الرشيد الندوي المسئول عن قسم الكمبيوتر التابعة لكلية الدعوة والإعلام بدارالعلوم لندوة العلماء ، وتلقوا النبأ المفاجئ بغاية من الحزن والأسى ، وذلك ليلة الجمعة التاسع من شهر صفر لعام ١٤٤٠هـ الموافق ٢٠١٨/١٠/١٩م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل العزيز شاباً صالحاً محبباً لدى الناس جميعاً ، يعمل مع أفراد أسرته في مجال العلم والدين ، معروفاً بنشاطه وصلاحه ، ولكن نبأ وفاته المفاجئ أقلق الجميع ، وحول الأجواء كلها إلى نوع من الحزن والألم ، وأحدث جواً من الأسف والأسى ، صُلي عليه في ساحة دارالعلوم بعد صلاة الجمعة في حشد كبير من طلبة العلم والأساتذة والأقرباء والمحبين ، وتم تدفينه في مقابر المسلمين بمنطقة دالي غنج .

ونحن إذ نعزي والديه وأعضاء أسرته وجميع المحبين وذوي القربى نتضرع إلى الله أن يتغمده بواسع رحمته ويجعله أجراً وذخراً لوالديه ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

(٦) حرم فضيلة الداعية الشيخ محمد يوسف الرامفوري إلى رحمة الله تعالى

كان نبأ وفاة حرم الداعية إلى الله الشهير الشيخ محمد يوسف الرامفوري مؤسس جامعة الصالحات في رامفور وعضو الجماعة الإسلامية والداعية المعروف ، كان النبأ مفاجئاً ومحزناً تلقيناه بجنة من الصبر والدعاء ، وفور ذلك اتصلنا بالشيخ محمد يوسف هاتفياً وتبادلنا معه التعازي وذلك في ١٥/ ذي الحجة ١٤٣٩هـ الموافق ٢٧/ أغسطس ٢٠١٨م .

ثم اتفق مرورنا بجامعة الصالحات برام فور في طريقنا إلى مدينة بجنور ،

www.albasulislami.com

فتوقفنا هناك برهةً من الوقت لمجرد أن نزور الشيخ ونعزيه من قريب شفوياً ونشاركه في المصاب بقدر الإمكان بكلمات من التعزية والدعاء للراحلة الكريمة ، وقد كانت الراحلة العزيزة في غاية من الصلاح والورع والاطلاع الواسع على أحكام الدين والأخلاق الحسنة .

رحمها الله تعالى رحمة واسعة وغفر لها زلاتها وخطاياها وجعل الجنة العالية مثواها ، وألهم أهلها وجميع أعضاء الأسرة وذوي القربى الصبر الجميل . (آمين يا رب العالمين) .

(٧) حرم الحاج مظفر كولا الباتكلي في ذمة الله تعالى

تلقينا نبأ وفاة حرم الحاج مظفر كولا ، أحد المحسنين والتجار الخيرين في باتكل في حادث مؤلم ومفجع للاصطدام ، وذلك أنها كانت عائدة من مومبائي إلى باتكل في سيارتها الخاصة مع نجلها العزيز الأخ عبد الله الندوي وإخوته ، إذ صادفت اصطداماً بسيارة حافلة كانت واقفة على جانب قريب من الشارع ، فسبب ذلك وفاتها وجرح الآخرين ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان زوجها الحاج مظفر كولا راكباً في سيارة أخرى صانها الله تعالى عن الاصطدام ، ولكن الحادثة كانت فاجعة للغاية وتركت جميع المرافقين من الأهل والأولاد في حيرة وحزن وبكاء ، لا سيما كان الحادث في وسط الليل وفي منطقة بعيدة عن المدينة ، وقد أعان الله سبحانه المصابين على عودتهم إلى مدينة باتكل حيث جرى العلاج وعمل التعازي ومراسيم الصلاة على الميتة والدفن في أحد مقابر باتكل .

ونحن إذ نعزي الأخ الكريم الحاج مظفر كولا وجميع أعضاء الأسرة وذوي القربى ، في هذا الحادث المفاجئ نبتهل إلى الله تعالى أن يتناول الراحلة العزيزة بالرحمة والمغفرة ، ويلهم أهلها وزوجها الكريم الصبر الجميل على الحادث، والدعاء لمن كتب الله تعالى العودة إلى آخرته ويكرمها بجنات ونعيم .

(يَأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ . ٱرْجِعِى إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) .

رحيل شقيق الأستاذ إرشاد أحمد الأعظمي الندوي إلى رحمة الله تعالى

بغاية من الحزن والأسى ننعى القراء الكرام شقيق الأستاذ إرشاد أحمد الأعظمي الندوي (الموظف في إدارة جامعة ندوة العلماء) ، وكان أكبر منه سنّا ، واسمه الأخ فياض أحمد بن أبي بكر (رحمهما الله تعالى) الذي توفي فجاءة من غير مرض سابق من خلال نوبة قلبية ، وذلك في أول يوم من نوفمبر ٢٠١٨ م الموافق ١٤٤٠/٢/٢٢ هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ونحن إذ نعزي الأخ العزيز الأستاذ إرشاد أحمد الأعظمي وجميع أعضاء أسرته ندعو الله سبحانه وتعالى أن يكرمه بالرحمة والمغفرة ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

www.albasulislami.com

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/2341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2018 To 2020
Published on: 3rd of Every Month

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 64 Issue. No. 08 December 2018

إصدارات جديدة :

(١) (رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم کی تین سو پینسٹھ نصیحتیں)

٣٦٥ من نصائح ووصايا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

بالعربية ، والأردوية ، والهندية ، والإنجليزية

وقد وُضع هذا الكتاب بقلم الداعية المفتي **محمد سرور الندوي القاروقي** لطلاب المدارس والكليات وللعائلات والبيوتات .

(٢) (معاني القرآن الكريم)

وُضع هذا الكتاب باعتبار من الترتيب اللفظي ، مع الترجمة والشرح المختصر بالأردوية .

(٣) شرح لغات القرآن الكريم

طريقة سهلة لمعرفة ترجمة القرآن الكريم .

يتضمن سورة الفاتحة ومن ، الآية الأولى إلى ١٤١ آية من سورة البقرة ، تتميز هذه الترجمة بترتيب الألفاظ العربية مع ترتيبها في الترجمة الأردوية ، وبشرح وتحقيق ألفاظ كل صفحة شرحاً لغوياً وإعرابياً مع مراعاة كل صفحة .

هذه الكتب القيمة كلها من تأليف

فضيلة الشيخ المفتي **محمد سرور الندوي القاروقي**

رئيس " جمعية رسالة الأمن والسلام "

مكتبها الرئيسي في شارع الندوة ، منطقة دالي غنج ، لكهنؤ (أترابرديش ، الهند)

تطلب هذه الكتب من :

١. **مجلس تحقيقات ونشريات اسلام** ، ندوة العلماء ، لكهنؤ (أترابرديش ، الهند)

٢. **نيو سلور بک ايجنسي** ، ١٤/ محمد علي رود ، بهندي بازار ، مومبائي

٣. **الفرقان بکڈپو** ، نظير آباد ، لكهنؤ (أترابرديش ، الهند)

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat (Dept. of Journalism & Publicity) and Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI

www.albasulislami.com

Designed by Hamid. Mob:9889054027,9918057777, E.mail:hmurad1962@gmail.com